

المُكْرَبِيُّ
تمهيد في التصوف
وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

تأليف

حسن كامل المطاوي
مكييل وزارة المزانة السامر

١٩٧٤

دار مضر المربية
للطباعة والنشر
السامرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله وأستعينه وأستهديه لى ولأخوانى المسلمين وأصلى وأسلم على من جاءنا بالهدى ودين الحق سيدنا ومولانا محمد رسول الله الأمين الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وجعله إمام الأولين والآخرين .

ثم استرضى الله تعالى عن سادتنا الصحابة الكرام ومن حذا حذوهم من الصالحين الذين آثروا الله تعالى على ما سواه فأكثروا من ذكره ، وهاموا فى حبه ، واستناروا فى مسلكهم بشرع الله القويم ، فهداهم الله الصراط المستقيم ، ولم يفتنوا بزخارف الدنيا الفانية ، فشرّفهم الله بالانتساب إليه سبحانه ، فسامهم مرة عباد الرحمن ، ومرة حزب الله ، وأخرى أولياء الله ،

وبعد :

فقد ارتضى الله الإسلام دينا لعباده وأيده بالقرآن العظيم ، وجعله معجزة باقية ابا الدهر، إذ لم يكن الإسلام دين أقليم واحد أو شعب واحد كغيره من الأديان التى سبقتة ، بل هو الدين الذى اصطفاه الله للناس كافة إلى يوم القيامة ، اذ يقول سبحانه لخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وقد اقتضت حكمة الله لبقاء كلمة الإسلام وفضائله قائمة كما ينطق بها القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يكون لها على الدوام جنود من جنود الله فى الأرض يحفظون بالعلم والعمل الجاد القوى حدودها ، ويرفعون لواءها عاليا مهما اشتدت الفتن ، أو توالى على الإسلام والمسلمين الأحداث .

ومن أجل هؤلاء الجنود سادتنا الصوفية فقد زكوا أنفسهم لله بالعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، وخلصوها من أدران العادات والمعتقدات الفاسدة المغايرة للدين الخالص ، وصانوا بذلك الفضائل الإسلامية غضة كما توارثوها عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، رضى الله عنهم ، فخلقوا علما وعملا وحالا بأخلاقهم المحمدية القويمة ودعوا الناس إليها فكانوا السابقين بالخيرات بإذن الله جيلا بعد جيل .

وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعاوبوها وانكروا عليهم مسلكهم ، ظلما وزورا ، أو جهلا وغرورا - ولا عجب فالناس أعداء ما جهلوا - فمن قائل أن التصوف بدعة لا أصل لها فى الدين ، ومن قائل أن الصوفية قوم كسالى متواكلون ، ومن قائل أنهم غلاة متشددون . وكل هذه الأعتراضات بعيدة عن الصواب ولعل المعترضين حكموا حكمهم الجائر متأثرين بمسالك بعض أدياء التصوف من البسطاء والجهلاء الذين لا يدرون شيئا عن التصوف الحق القائم على الكتاب والسنة ، وقد شكوا سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى زمانه منهم وطلب إلى بعضهم أن يأتية ليفقهه فى دين الله فتهرب حتى لا يضيع صدارته الكاذبة لاتباعه الأغرار .

وقد كان التصوف وردا لا شوك فيه فجعله هؤلاء الادعياء شوكا لا ورد فيه ، ويعجبني فى
تبكيت هؤلاء الأدعياء قول القائل :

أيها المدعى سليمى هواها

لست منهم ولاقلامه ظفر

إنما أنت فى هواها كواو

الصقت فى الهجاء ظلما بعمر

والتصوف فلسفة فى عبادة الله تقوم على ايثاره سبحانه على ما سواه ، طمعا فى رضاه ،
وهو الغاية التى لا غاية بعدها والسعادة الحقة التى لا سعادة مثلها .

وسأحاول إن شاء الله أن أبين فى هذه الرسالة على قصرها شيئا من فضائل هؤلاء السادة
الأمثال ، ولعلى أبلغ من ذلك المراد من اعطاء الناشئة الإسلامية فكرة صحيحة عن الصوفية
وما تدعوا إليه ، وما تؤديه للإسلام من خدمات فى تربية القلوب وأصلاح الأرواح .

وسأدرج من كلامى عن الصوفية الى ترجمه لأستاذى الجليل العارف بالله سيدى الشيخ :

عبد السلام الحلوانى

ذلك الولى الصوفى ، والعالم العامل ، الذى كان كوكبا مضيئا للمسالكين فى عصرنا الحاضر ،
وكان علما بارزا من أعلام الطريقة الخليلية المنسوبة لإمامها الأكبر وغوث زمانه سيدى
الحاج محمد أبو خليل رضى الله عنه .

ولعلى فى تلك الترجمة أقوم له رضى الله عنه ببعض الوفاء وإن كان دينه فى عنقنا متعذر
الأداء ، وقد جاء فى نصيحة بعض الحكماء

اطلق لسانك بالثناء على الذى

أولاك حسن رغائب وغرائب

واشكره شكر الروض حياه الحيا

كيما تقوم له ببعض الواجب

وأرجوا ألا تخلو رسالتى هذه من بعض الفائدة لكل من طالعها من أخوانى المسلمين عامة
والمتصوفة خاصة ، واستغفر الله لى ولهم وأسأله تعالى أن يهدينا بهداه حتى لا نضل عن
سواء السبيل .

حسن كامل المظاوى

١- ما معنى الصوفية ومتى وكيف نشأت ؟

جاء في مقدمة العلامة ابن خلدون : الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلود للعبادة ، وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف ، ولما عم الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم " الصوفية " و " المتصوفة " .
وجاء في الرسالة القشيرية ما خلاصته : عرف السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار " بالصحابة " وعرف أهل العصر الثاني الذين أدركوا الصحابة " بالتابعين " وعرف أهل العصر الثالث الذين أدركوا التابعين " بتابعي التابعين "

وهؤلاء جميعا هم خير القرون ، ثم قيل لخواص المؤمنين ممن لهم شدة عناية بأمر الدين " الزهاد والعباد " ثم ظهرت البدع نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بالعجم ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى باسم التصوف ، واختصوا بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة .

وقال القطب الشعراني : التصوف عبارة عن علم انقذ في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقذ لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموا من الأحكام .
ومن ذلك ترى أن الصوفية إن هي إلا إحياء لنهج السابقين الأولين من خواص المؤمنين الذين كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ويحذرون الآخرة ويرجون رحمة الله ، وقد شهد القرآن الكريم بفضل هؤلاء في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : (في بيون أذن الله أن ترفع ويذكر

فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) وقوله : (ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) وقوله : (إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) .

وهؤلاء المتقون هم عنوان الفضائل وفخر الإسلام ، وهم القدوة الصالحة في دعوة المؤمنين إلى الخير بالموعظة الحسنة

من أفعالهم وجهاد أنفسهم ، وهم مع ذلك لا يعدمون الحكم البالغة ، فإن ينايبيها تتفجر إلهاما من الله تعالى فى قلوبهم فتجرى سحرا حلالا على ألسنتهم ، وتشهد لذلك الأقوال المأثورة عنهم وستجدون بعضها فيما يأتى .

وهذه الطائفة المباركة هى التى يعنىها الحديث الشريف المروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتى على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون . وينوه بفضلهم القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الأعراف (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) .

ولا عجب أن تختص الأمة المحمدية بمثل هذا الفضل وهى التى يخاطبها الله جل شأنه بقوله الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ويطلب إليها أن تتفرغ جماعة منها للدعوة

إلى الخير فى قوله الكرىم : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

وإن تميز السادة الصوفية بين المسلمين بشئ خاص فإنهم يتميزون بعنايتهم بأحوال النفس وخفايا الوجدان ، فإذا عنى العلماء بالأقوال والأفعال النبوية الشريفة فإن السادة الصوفية عنوا بأحواله السنية من مثل الصبر والشكر والحلم والتواضع والرأفة والسخاء والتوكل والعفة والزهد والقناعة والسكينة والوقار وحسن الظن بالله وإيثاره عما سواه وخشيته فى السر والعلانية وذكره سبحانه فى كل حال وفى جميع الأوقات وهى الصفات التى تمت له بها مكارم الأخلاق ، ويحرص السادة الصوفية على التأسى به فيها ماستطعوا إلى ذلك سبيلا حتى تتفق بواطنهم مع ظواهرهم ، فقد يأمر العالم بمعروف ولا يأتمر به فى نفسه ، وقد ينهى عن شئ ولا ينتهى هو عنه ، فيختلف

ظاهره عن باطنه ولكن الداعى إلى الله من السادة الصوفية يبدأ بأصلاح باطنه فيأمر نفسه
وينهاها قبل أن يأمر غيره وينهاه ويقول لنفسه :

ياأيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا

كيما يصح به وأنت سقيم

وقد كان سيدى الإمام المرسى أبو العباس رضى الله عنه يقول : ما عند العلماء أخذناه ، وما
عندنا لم يأخذوه ، ويحكى سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه - وقد كان من كبار
علماء الشريعة فى وقته - عن صلته بسيدى الإمام المرسى فيقول :
كنت فى أول أمرى من المعترضين عليه قبل أن أجلس إليه ، فلما جلست إليه أول مرة سمعته
يقول : أنفاس الشرع

إسلام فإيمان فإحسان ، وإن شئت قلت عبادة فعبودية فعبودة ، وإن شئت قلت شريعة فحقيقة فتحقق .

ويضيف رضى الله عنه فيقول : فما زال الشيخ يقول : وإن شئت وإن شئت حتى بهر عقلى وأيقنت أنه يغرف من فيض إلهى ، ثم عدت له ثانية فتلقانى بترحاب فقلت له إنى والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتنى كيف تجدك ؟ قلت أجد بى هما ، فقال لى أحوال العباد أربعة لا خامس لها : النعمة والبليّة والطاعة والمعصية ، فإن كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت فى البليّة فمقتضى الحق منك الصبر ، وإن كنت فى الطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وإن كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .

وأضاف سيدى ابن عطاء يقول : فقامت من عنده وبى هم ، ثم عدت له ثالثة فقال لى كيف تجدك ؟ فقلت أجد كأن الهم ثوبا نزعته ، فقال لى : إلزم فوالله لئن لزمتم لتكونن

مفتيا فى المذهبين (يقصد أحكام الشرع وآداب السلوك الصوفى) .
وقد لزم سيدى ابن عطاء شيخه المرسى رضى الله عنهما حتى صار سيدى ابن عطاء إماما
جليلا من أئمة التصوف فى زمانه ، ولا زالت حكمه الصوفية التى اشتهر بها نور يستضى به
أهل الحقيقة من الصوفية ، وقد جاء فى تلك الحكم : إجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما
طلب منك دليل على إنطماس البصيرة ، فيك ، وهو يدلنا بحكمته هذه أن نسعى للآخرة كما
نسعى فى دنيانا على أرزاقنا ، فإننا لا نقصر فى اتخاذ أسباب الرزق بهمنا القصوى مع أن
الله تعالى كفل أرزاقنا وضمنها فيجب أن نجد بالمثل فى طلب الآخرة التى هى خير وأبقى ، فإن
تخلفنا عن سعيها للآخرة كان ذلك دليلا على عمى قلوبنا وبصائرنا ، ونعوذ بالله من ذلك .

٢- مما اشتق اسم الصوفية ؟

يقال رجل صوفى وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك بالأكتساب والتشبه بهم يقال له متصوف وللجماعة متصوفة ، وقال بعضهم : التصوف من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كمل يقال تقمص إذا لبس القميص ، وذلك على اعتبار أن القوم زهدوا ولبسوا الصوف في الغالب ، ونسب البعض القوم إلى الصفة التي كانت في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس فيها فقراء الصحابة وضعافهم من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وأقبلوا على الله بالطاعات ، وقد أوصى الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ريخم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقد سرت

هذه الوصية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " الحمد لله الذى لم يميئنى حتى أمرنى أن أصير نفسى مع ناس من أمتى " .

ونسبهم آخرون إلى الصف لأنهم فى الصف الأول بقلوبهم مع الله . وقال قائلون أنهم منسوبون إلى الصفاء الذى هو ميزة القوم على حد قول القائل :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا

قدما وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى

صافى فصوفى حتى سمي الصوفى

والأظهر فى اسم " الصوفية " أنه كاللقب إذ لا يشهد له قياس من حيث العربية .

ويرجح الإمام السراج الطوسى صاحب كتاب اللمع أنهم منسوبون للصوف كما نسب أصحاب سيدنا عيسى عليه السلام إلى الحواري التى كانوا يلبسونها - وهى الملابس البيضاء فقليل لهم الحواريون .

٣ - ما هي غاية الصوفية ؟

تهدف الصوفية إلى تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة والمحبة الخالصة لله والاشتغال به عما سواه لنيل رضاه ، وهو السعادة الأبدية ، كم تدل على ذلك أقوالهم ، فقد وصف الأمام أبو محمد الحريري التصوف بقوله : هو الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى . ووصفه الإمام أبو القاسم الجنيد فقال : هو أن يميئك الحق عنك ويحييك به .

ووصفه الإمام رويم بقوله : التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . وقال الإمام الحراز : حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى . ويقول سيدى الشيخ على عقل فى ألهامه الفورى المرتجل الذى نقلناه عنه وهو يتحدث عن نفسه فى الفناء بالله تعالى عن غير الله :

فانيت به من غيره فاستمسكت بالباقية
 إن كان جسمى بالفناء سقوفه متداعية
 فالروح بعد فنائه فى الخلد شمس سامية

ويقول سيدى أبو بكر الكلابذى رضى الله عنه (وهو من أعلام الصوفية فى القرن الرابع الهجرى) فى وصف الصوفية : سبقت من الله لهم الحسنى ، وألزمهم كلمة التقوى ، وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة . وخلصت عليها معاملاتهم فمئحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم فاكرمهم بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم وأنارت اعلامهم وزكت أفهامهم ، فهموا عن الله ، وساروا إلى الله ، وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب أنوارهم ، وجالت حول العرش أسرارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، وجلت عند ذى العرش أخطارهم ، فهم أجسام روحانية ، وفى الأرض سماويون ، ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار ، غيب حضار ، ملوك تحت اظماره أنزاع

قبائل ، وأصحاب فضائل ، وأنوار دلائل ، آذانهم واعية ، ونفوسهم صافية ، ونعوتهم خافية ،
صفوية صوفية ، نورية صفية ، ودائع الله بين خليقته ، وصفوته فى بريته ، ووصاياہ لنبيه ،
وخفياہ عند صفيه ، هم فى حياته صلى الله عليه وسلم أهل صفته ، وبعد وفاته خيار أمتہ ،
لم يزل يدعوا الأول الثانى والسابق التالى ، بلسان فعله ، أغناه ذلك عن قوله .

٤ - ما هي قواعد التصوف ؟

يقوم التصوف على قواعد خمس هي :

أولاً - محاسبة النفس وصفائها :

جاء في وصف المتقين في القرآن الكريم (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) . ولا يتأتى هذا الشعور الباطني إلا من محاسبة النفس واستشعار خطئها ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " .

وفي هذا المقام أسوق حادثة طريفة وقعت في أيام أمير المؤمنين العادل الرشيد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي : أنه اختار بحسن فراسته في الرجال إماماً على جماعة ، فاشتكت الجماعة هذا الإمام إلى أمير المؤمنين بحجة أنه يصلي ثم

يغنى بعد الصلاة ، فاستغرب أمير المؤمنين الأمر وسأل الإمام : أحقا ما يقولون من أنك
تصلى ثم تغنى ؟ قال نعم يأمر المؤمنين قال ماذا تغنى فأجاب أغنى فأقول :

وفؤادى	كلما	عاتبته	عاد للذات	يبغى	تعبى
لا	أراه	الدهر	إلا	لاهيا	فى تماديه
ياقرين	السوء	ما	هذا	الصبا	فنى العمر
كذا	فى	اللعب	قبل	أن	أقضى
منه	أربى	نفس	لا	كنت	ولا
كان	الهوى	أتقى	المولى	وخافى	وارهبى

فما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه إلا أن قال للشاكين : من كان منكم مغنيا فيغن
هكذا ، وكيف لا ينتصر أمير المؤمنين لهذا الإمام الصالح وقد ضرب هو له ولغيره المثل
الأعلى فى محاسبة النفس فى مثل قوله رضى الله عنه : " والله لو أن جملا هلك ضياعا على
شاطئ الفرات لحاسب الله عليه آل الخطاب " .

ومحاسبة النفس تكسب الروح حساسية اللوم الباطنى وهو يوصل إلى التوبة ، والتوبة تطهر النفس من العطل والشوائب والغايات وسائر الأفات ، حتى الخواطر القلبية ، فان القوم يحاربونها باعتبارها عقبة فى طريق الصفاء . ويرق المؤمن بمحاسبة نفسه فى درجات السلوك فلا يقف عند الأخطاء ، بل يحاسب نفسه على التقصير فى الطاعة ، استنهاضا للهمة ، وأخذا للدين بقوة :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

والنفس اللومة نفس خير تهرع من الرزيلة إلى الفضيلة وإن تحمل صاحبها فى ذلك مرارة المجاهدة ، ولذلك وصف أمير المؤمنين الرشيد سيدنا الإمام على ، كرم الله وجهه ، المتقين بقوله " أنفسهم منهم فى عناء والناس منهم فى راحة " .

وقد أقسم الله تعالى بالنفس اللومة ، فقال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللومة) فدل ذلك على شرفها .

وقد قال أبو حفص وهو من أئمة الصوفية : من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجبرها على مكروها في سائر أيامه كان مغرورا ، ومن نظر إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها ، وكيف يصبح لعامل الرضا عن نفسه ويوسف الصديق يقول : (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) .
وما أروع ما قاله السادة الصوفية في وصف النفس حين قالوا : نفسك كالدابة ، إن ركبتها حملتك ، وأن ركبتك قتلتك .

وقال الإمام البوصيري الجليل رضى الله عنه في برده المباركة :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم

فراعها وهي فى الأعمال سائمة

وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة

من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

ويعجبني في هذا المقام قول عالماالصوفي الفذ سيدى الشيخ على عقل من فتوحاته الربانية
المرتجلة ، وهى من عطاء الله لأولياؤه ، وقد كنت أكتب بعضها عند إنشاده على مجالس
الذكر المنيرة :

حاسبت نفسى لم أجد لى صالحا
إلا رجائى رحمة الرحمن
ووزنت أعمالى على فلم أجد
فى الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسى فى فعالى كلها
ويحي أذن من وقفة الديان
يا أيها الأخوان إنى راحل
مهما يطل عمرى فإنى فانى
يارب إن لم ترضى إلا ذا تقى
من للمسىء المذنب الحيران ؟

وقد وصل بجهد نفسه ولومها إلى سمو صلته بربه فقال بعد ذلك :

ووردت عن أدب بحار جماله

فصدرت عن علم وعن عرفان

وشربت لم أشرق وقمت ولم أنم

والنوم من بعد الوصل جفانى

وعلمت أن الوجد ليس بمنته

إلا برؤيا حضرة الحنان

ويشير بالرؤيا إلى المشاهدة الروحية فى الدنيا باليقين ، وإلى التجلى فى الآخرة الذى وعد الله

به المتقين فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)

وجهد النفس لازم للمؤمن لزوم الدواء للعليل ، لأن الإنسان مركب من جسد وروح ، والجسد

حيوانى وله شهوته ، والروح نورانية لأنها من عالم الملكوت الذى خلق الله منه الملائكة ،

فإن تابعت النفس الجسد فى شهواته أضعفت نور الروح ، وإن

قوى نور الروح وقفت شهوات الجسد عند الحلال الطيب وخاف المؤمن ربه كما يخافه الملائكة من فوقهم ، لأن الله جعل الرابطة قائمة بين الجسد والروح ، فتتأثر الجوارح بحركات الروح ، وتتأثر الروح بحركات الجسد ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وبجهاد النفس يتميز مؤمن عن مؤمن وقد قال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم) كما قال تعالى (واتقون يا أولى الألباب) . والتقوى كما عرفها إمامنا على كرم الله وجهه هي : الخوف من الجليل ، والعمل بما جاء في التنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

ثانيا : قصد وجهه تعالى :

ولا تخفى أهمية هذه القاعدة الأساسية ، فإنه لو قصد المرء بعملة الرياء مثلا حبط عمله ، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإنما الأعمال بالنيات ، ويقول تعالى في القرآن الكريم (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كما يقول (ألا لله الدين

الخالص) وأنزل مدح سيدنا الصديق الحازم الرشيد رضى الله عنه (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى) وامتدح تعالى سيدنا الإمام عليا كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقصتها معروفة ، وذلك فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وما أرق ما يقول فيلسوف المسلمين العظيم السيد محمد إقبال الباكستانى رحمه الله ، فقد قال فى وصف الأيثار الذى وقع من إمامنا على وزوجته الزهراء رضى الله عنهما ، وقد ترجمه إلى العربية صديقى فضيلة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

وبزوج فاطمة بسورة هل أتى

تاج بفوق الشمس عند ضحاها

فمهما يردد آى ربك بينما

يدها تدير على الشعير رجاها

لما اشتكا المحتاج خلف رجاها

رقت لتلك النفس فى شكواها

جاءت لتتقذه برهن خمارها

يا سحب أين نذاك من جدواها

وقد قال الإمام العظيم سيدى أبوحسن الشاذلى رضى الله عنه : ليس شئ أشد وأشق فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعانى وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الأخلاص ، والعزيمة على العمل بها وبه يرجى ، وهو موضع الصدق ، ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شئ سوى المولى وهو موضع النية .
واعلم أنه ما دام المرء مطمئنا إلى حسن قصده فى عمله فلا يضيره ما قد يتهمه به الناس بالباطل لأن الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، والذى يرضى الله لا يبالى بعباده ، والمتصفون قليل ، وليكن لسالك طريق الحق فى الصبر على الأذى أسوة بسيد الورى وأفضل من وطئ الثرى صلى الله عليه وسلم .

ولنلاحظ أن الدين شجع على الصدقة سرا والنفل سرا ليقوى فى المؤمن قصد وجه الله فى السر والعلانية فى كل ما يوافق إليه من فعل الخيرات ، وقد امتدح حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم سادتنا الأنصار بقوله لهم : إنكم لتكثرُونَ عند الفرع وتقلون عند الطنع ، أى أنهم يكثرُونَ عند القتال ولا يدفعهم إليه إلا وجه الله ، لا حبا فى الغنيمة والفخر .

وقد قال الصوفية : النية عبودية القلب و الأعمال عبودية الجوارح . وقال إمام الشريعة مولانا الشافعى رضى الله عنه حديث " إنما الأعمال بالنيات " يدخل فى نصف العلم . كما يقول رضى الله عنه : صحبت الصوفية فأخذت عنهم كلمتين : قولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . وكذلك يقول السادة الصوفية حاضين على أخلاص النية : الدنيا كلها جهل إلا ما كان منه العلم ، والعلم كله جهل إلا ما كان منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا موضع الأخلاص فيه .

ثالثا : الزهد فى الدنيا :

والزهد عند الصوفية ليس معناه ترك الدنيا من اليد بل معناه تركها من القلب ، وهم يقولون فى تعريف الزهد : ليس الزهد ترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك . ولا يخفى أن السادة الصحابة كان منهم أغنياء ولكنهم خدموا الإسلام بأموالهم ولم تشح نفوسهم ببذلها ، وتقوى ظاهرة : الزهد بجهد النفس لأنها بطبعها تجنح إلى المظاهر الكاذبة الخادعة وتستحب العاجل على الآجل .

وجهادها فى هذه الناحية إنما يأتى من تذكر الموت وفناء الدنيا وتيقن أنها ليست دار إقامة ، وأن قليلها وكثيرها إلى نفاذ ويضرب المجاهد لنفسه المثل بمن مضى لتعتبر ، وفى القرآن الكريم من الآيات ما فيها مزدجر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وينهى سيدى الإمام أحمد البدوى عن الزهد الشكلى ولبس المرقع من الملابس الصوفية ،
ويقول رضى الله عنه : ليس التصوف الزهد أو لبس الصوف ، إنما التصوف أعمال ومجاهدة
وأخلاق والأخذ بأيدي الناس إلى خير الدنيا والآخرة .
واقراً إن شئت قوله تعالى : (لولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون *
وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) وقوله تعالى : (لا
يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقوله : (لا
اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم

يهيج قتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقوله تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) إلى غير ذلك من الآيات البينات .

ولا يفوتك أن الله تعالى عرض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول له جبال مكة ذهباً ، فقال " لا ياربى أجوع يوماً وأشبع يوماً ، أجوع فأذكرك وأشبع فأحمدك " وعندئذ قال له جبريل عليه السلام : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت . ومن هنا تعلم أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هو خير من زهد من الزاهدين مع القدرة ، وهو كذلك ذاكر شاكر فى العسر واليسر ، أما الزهد من عدم فكالعدم لأن الفتنة إنما تقع إذا ملكت اليدان : (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) .

وقد سار أجلاء الصحابة على سنن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الزهد حتى ضرب بهم المثل فى إيثار اللهو الصبر على عيش الكفاف مع بذل طائل الأموال فى سبيل الله . ولا يخفى أن إمامنا الصديق رضى الله عنه خرج عن كل ماله فى سبيل الله وأن إمامنا الفاروق رضى الله عنه خرج عن نصف ماله ، وأن إمامنا ذو النورين عثمان رضى الله عنه مد جيش العسرة بعشرة آلاف دينار وسبعمائة بعير محملة بالزاد هى وما حملت ، وأن إمامنا أبا الحسنين عليا كرم الله وجهه أوقف أرضه فى سبيل الله ولو أن أنفسهم - وحاشاهم - أخذت لحظوظها كعامة الناس لآثروا أنفسهم وأهليهم بهذه الأموال ولأنفقوها فى سد الشهوات ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم سابقون بالخيرات بإذن الله ، وما أروع ما يقول إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الزهد : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها .

وقد قال المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى علامة زمانه فى وصف السادة الصحابة : كانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت ، وشكروا الله حين وجدت ، وتصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين ، وامتثلوا فيها قول رب العالمين (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ولذا قال الصوفية ان الزهد ألا تفرح بموجود من الدنيا ، ولا تتأسف على مفقود فيها ، عملا بقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) ويقصدون ذم الفرح بالمال الذى يطغى به الإنسان ويغتر ويضيع حق الله فيه .

وقد قيل : من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة ، كما قيل أن الله تعالى يعطى الزاهد فوق ما يريد ، ويعطى الراغب دون ما يريد ، ويعطى المستقيم موافقة ما يريد . وقال إمام الشريعة مولانا ابن حنبل رضى الله عنه : الزهد على ثلاثة أوجه : الأول ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثانى ترك الفضول من

الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .
ويقول سيدى شقيق البلخى رضى الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا
من الآخرة فأصبت الفرق بينهما فى قوله تعالى (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا
وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) .

وقد ذهب العباسى بن بشار رحمه الله إلى الإمام أبى بكر الشبلى تلميذ الإمام الجنيد رضى الل
عنهما ، فقال للإمام الشبلى : كم فى خمس من الأبل ؟ قال تريد زكاتها ؟ قال نعم قال : فى
واجب الشرع شاة وفيما يلزم أمثالنا كلها ، قال ألك فى هذا إمام ؟ قال نعم ، قال من هو ؟ قال
أبو بكر الصديق ، خرج عن كل ماله فى سبيل الله . ولما سئله رسول الله صلى الله عليه
وسلم : وما الذى أبقيت لعيالك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فخرج ابن بشار متغير الوجه
ممتقع اللون وذهب إلى العلماء وقال لهم : أضعنا أعمارنا فى المجادلات وذهب الصوفية
بالخير كله .

رابعاً : توطيد القلب على الرحمة والمحبة للمؤمنين :

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم رحماء بينهم ، كما خلع عليهم صفة الأخوة فى قوله : (إنما المؤمنون أخوة) والأخوة تقضى المحبة والرحمة وهما يقتضيان التعارف والتوادد والتزاور والفرح بما يسر والتألم بما يضر وجلب المنافع ودفع المضار . وقد كان حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم يواخى بين المهاجرين والأنصار ، وشبهه صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وقد أثر عن إمامنا الفاروق رضى الله عنه أنه إذا نزل بالمؤمنين بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء ، وقد حزن رضى الله عنه لموت إمامنا الصديق رضى الله عنه وقال مبرراً حزنه :

ذهب الذين أحبهم	فعليك يادنيا السلام
إنى رضيع وصالهم	والطفل يؤلمه الفطام

وقد ورد فى الحديث الشريف " من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم " . وقال الإمام المبارك ابن حنبل رضى الله عنه : لو كان لى دعوة مستجابة لدعوة للوالى بصلاح الحال لأن فى صلاحه صلاح الرعية .

وقد حثت السنة النبوية المطهرة على تعميم الدعاء للمسلمين لرياضة نفوسهم على التراحم والتماسك ، وقد أثنى الله على الخلف الذين يدعون بالمغفرة لاسلافهم فقال تعالى بعد أن أمتدح المهاجرين والأنصار فى سورة الحشر (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) .

خامسا : التحلى بمكارم الأخلاق :

وهذه فى الواقع تجمع القواعد كلها . وقد أثنى الله تعالى على الأنبياء والمرسلين لتحليهم بمكارم الأخلاق من الصبر والشكر والحلم والصدق وغيرها ، كما وصف حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم

بقوله (وإنك لعلی خلق عظیم) وفى صيغة الآية من التأكيد ما فيها .
ولا عجب أن يكون صلوات الله وسلامه عليه قدوة المؤمنين وهو القائل " إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق " .

وقد قال المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى فى كتاب مناهج الألباب : اتفقت الأخلاق والعوائد
و الشرائع والأحكام على أن مكارم الأخلاق منحصرة فى قوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " وأن هذا الحديث قاعدة عظيمة فى الدين لأن الرجل
الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر ، بل يرى أن الحقوق الواجبة
عليه فعل الخير والمعروف ، فمن لم يضع المعروف فى موضعه مع التمكن منه لا يعد صالحا
. فالاستقامة تنهى عن الشر ، والصلاح يأمر بالخير ، ثم أورد رحمه الله لبعض الحكماء قوله

:

كل الأمور تبيد عنك وتقتضى
 إلا الثناء فإنه لك باق
 لو أننى خيرت كل فضيلة
 ما اخترت غير مكارم الأخلاق

وقال آخر :

ليس دنيا إلا بدين وليد س الدين إلا مكارم الأخلاق
 إنما المكر والخديعة فى النا س هما من خصال أهل النفاق

وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها خلق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقالت " كان خلقه القرآن " ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم إئتمر بأوامر القرآن وأمر بها ، وانتهى بنواهى القرآن ونهى عنها ، فكانت حيوية القرآن الكريم ظاهرة فيه ولذلك جعل الله متابعتة صلى الله عليه وسلم دليلا على محبة الله وذلك فى قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وفى قوله تعالى :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .
وقد قال الإمام زروق رضى الله عنه : أصول الخير ثلاث : التواضع وحسن الخلق والنصيحة ،
فالتواضع تتبعه ثلاث : الأنصاف من نفسك ، وترك الأنتصاف لها ، وخدمة المؤمنين .
وحسن الخلق تتبعه ثلاث : العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، والخشية
فى السر والعلانية . والنصيحة تتبعها ثلاث : العمل الصالح ، والعلم الصحيح ، واتباع الحق
فى كل حال .

٥ - سبل الصوفية فى نشر مبادئهم

بينت فيما تقدم أن الصوفية يهدفون إلى تزكية النفوس وتعمير الظاهر والباطن بالآداب
الإسلامية والتعلق بالله على أساس الدين الخالص . والوصول إلى هذه الغاية يعمدون إلى
الأخذ بالأسباب الآتية :

١ - التواصى بالحق والصبر : وعند السادة الصوفية نوع من الصبر لا يعرفه عوام المؤمنين الذين يعرفون الصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية والصبر على البلاء ولكن السادة الصوفية يزيدون على هذه الأنواع الثلاثة الصبر على العافية وهو نوع رابع ، ويقصدون به ألا يفتتن بقوة شبابه أو بكثرة ماله أو جاهه بل يرعى فى كل ذلك طاعة الله ومرضاته .

ومعلوم أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، والتواصى بالحق صفة عالية من صفات المؤمنين وقد نوه القرآن الكريم بها فى قوله تعالى (والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) والتواصى بالحق يقتضى فعل ما يرضى الله تعالى وهو مقام العبادة . والتواصى بالصبر يقتضى الرضا بما يجرى به قضاؤه وهو مقام العبودية ولذلك قال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) .

ويقول السادة الصوفية : كيف يرضى الله عنك إذ لم ترضى بقضائه وقدره ، كما يقولون فى الرضا بالقضاء والقدر : كن مع الله كالهباء فى الهواء يحركه كيف يشاء . ويقول سيدى على البيومى رضى الله عنه فى هذا المقام :

كل له ورد يكون وسيلة

لمعاشه ومعاده ومعاده

وجعلت وردى فى الخروج عن السوى

وأكون مع مولاي تحت مراده

ويقصد بالخروج عن السوى ألا يشغله شئ عن الله تعالى حتى يكون الله شغله الشاغل . ويقول سيدى العارف بالله الشيخ أحمد الحلوانى الخليجى (والد سيدى وشيخى عبد السلام رضى الله عنهما) فى توجيهها للصبر عند الشدائد :

سلم لربك ما قضى واصبر إذا أشدت الحرج

وانكر حديث المصطفى الصبر مفتاح الفرج

كما يقول رضى الله عنه فى توجيهنا إلى الرضا بما يجرى به القضاء :

أفعاله محكمة وقل من يفهمها

يفعل مايشاؤه لحكمة يعلمها

ويقول فى تعقيبه على البيتين الآخرين : ما فرحت بشئ من نظمى مثل فرحى بهذين البيتين ،
وما تلوتهم فى نازلة نزلت بى إلا فرج الله عنى .

وقد مات ابن لإمامنا الحسين بن على رضى الله عنهما ، فلم يرى الناس عليه جزعا ، فسألوه
عن ذلك فقال : نحن أهل البيت نسأل الله فيعطينا فأذا أراد ما نكره فيما يحب رضىنا ، فانظر
كيف كان حاله فى التسليم والرضا بقضاء الله تعالى .

ويقول سيدنا الإمام الشتفى رضى الله عنه وأرضاه فى التسليم لله :

وما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت
ففى العلم يجرى الفتى والمسئ
على هذا مننت وهذا خذلت
وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنه حسن
ويقول سيدى الشيخ على عقل فى التسليم لله تعالى الهاما وارتجالا :
سلم لتسلم فى حياتك إنه
من لازم التقوى سما بظلال
واجعل لنفسك من قضاء الله رضا
حتى تكون موفق الأحوال

ويبين لنا رضى الله عنه أنه يصبر على البلاء ، ولكنه لا يصبر على الله ولا يطيق البعد عنه سبحانه فيقول :

أنا صابر إلا على بعدى فما للصبر مركب
قولوا قبلناكم فهذا فى الحياة الخالد يكتب

وممن نفعنى الله به فى شبابى من أرشاد سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه قوله فى رسالة تفضل فأرسلها إليه من الأسكندرية :

أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها ، فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيهها ، وفيها ما فيها لأنك إن دبرت وصح التدبير وهو مطلوب شرعا ، فلا تدري كيف قضى فيه ، فإن صح القضاء بالرضا فهو القضاء ، وإن حصل الجفاء سألته اللطف فى القضاء مع الرضا على أنه الرضا .
ب - البيعة : وللتوصل إلى التواصى بالحق بهمة وصدق عزيمة يبايع المرید منهم أماما أرشد منه فى أمر الدين على طاعة الله ورسوله ويتخذة أستاذا يأتى بأمره ويكون هذا الأستاذ قد استرشد من قبله بإمام آخر ، وهكذا إلى أن يصل الاتباع إلى سادتنا الصحابة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والبيعة أمر شرعى ثابت فى الدين من أفعال سيدنا رسول الله وأقواله ، وقد ثبت بالقرآن الكريم مبايعته لأصحابه تحت الشجرة ، وهذا لا ينافى سابق إيمانهم بل يؤكد ويوثقه وامتدح الله تعالى هذه البيعة ورضى الله عن المبايعين ، كما بين خطر البيعة وأن مبايعة سيدنا رسول الله هى مبايعة الله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) .

كم ثبت بالقرآن الكريم مبايعة المؤمنات لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه لم يضافهن لأنه لم تمس يده الشريفة يد امرأة لا يملك عصمة نكاحها .

وثبت أن البيعة كانت تحصل بإعطاء اليد وقبول الميثاق الذى يأخذه رسول الله على المبايعين ، ويدل على ذلك ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه فى بيعة الشجرة وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال : وهذه يد عثمان ، يسراى خير من يمين عثمان ، حيث كان سيدنا عثمان فى

مكة يفاوض أهلها على الصلح . وقد قال تعالى (يد الله فوق أيديهم) أى سلطانه ومراقبته لصدقهم (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجرا عظيما)

ونخرج من هذا بالنتائج الآتية :

أولا - أن البيعة على الطاعة أمر شرعى من سنة سيد المرسلين وإن سبقها إيمان المؤمنين ، فهي تجديد للعهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الدينى ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم " من بايع إماما أعطاه صفقة يده وثمره قلبه فليطعه إن استطاع " .

ثانيا - أن المبايعة تكون باليد ظاهرا ولكن ينبغى أن يصاحبها صدق القلب باطنا بدليل قوله تعالى فى امتداح بيعة الشجرة (فعلم ما فى قلوبهم) . والقلوب المجتمعة بصدق هى التى تصاحبها بركة الجماعة التى على قلب واحد ، أما الجماعة

المتحدة بظاهرها والمتفرقة بقلوبها - نعوذ بالله منها - فيكفى ذمها قولها تعالى في المنافقين (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) وقد بايع أهل الرأي من الصحابة الكرام سادتنا الخلفاء الراشدين يدا بيد كما هو ثابت .

ج - الصحبة : وقد ثبت أيضا أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حياته الشريفة يرسل الرسل والسرايا ليبثوا الدين وتعاليمه في الجهات النائية عن مركز الرسالة ، وكان يؤمر عليهم أميرا يكون إماما لهم يسترشدون به ويرجعون إليه في أمر دينهم ، ومن ذلك مثلا أنه أرسل سيدنا مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى أهل المدينة قبل أن يهاجر صلوات الله عليه إليها ، كما أرسل سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن .

ومن هنا نعلم أن إمامة الرجل الرشيد الصادق في دينه لإخوانه المؤمنين أمر أساسى فى الدين من زمن سيد المرسلين لأن العلم بالتعلم ، ومن شأن هذا الاتباع أن يبعث فى القلوب

الإمام والمؤمنين المحبة في الله بحسن التعلم وصدق الاتباع.
 وكان أمير المؤمنين من فضله وعلمه يقول : لولا على لهلك عمر لأنه كان يستشيره
 ويستفتيه ويطمئن إلى فتواه ، كما كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ينادى في الحج
 ويقول : من أراد الفرائض (المواريث) فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد الحلال والحرام فليأت
 معاذ بن جبل ، ومن أراد المال فليأتني ، وهو بذلك يحيل إلى أهل التخصص في الفروع
 الشرعية .

وهذه هي الصحبة التي يدعوا إليها الصوفية جيلا بعد جيل وقد قال إمامنا الشاذلي رضى الله
 عنه : أوصانى حبيبي فقال : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجوا ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث
 تأمن من معصية الله ، ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك إلا
 من تزداد به يقينا .

ومن حكم المرحوم أمير الشعراء شوقي في هذا المعنى قوله

أساء جسمك شئ حين تطلبهم

فمن لروحك بالنطس المداوينا

وكما أن الشر يعدى فكذلك الخير يتعدى ولا ينكر عاقل ما للوسط من أثر النفوس ، غير أن حسن الاختيار فى الصحبة مطلوب ، والتدقيق فى إتخاذ الإمام واجب ، والمقياس الصحيح الذى يقاس به الإمام هو مقياس الشرع ولذا قال الإمام الجنيد رضى الله عنه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وقد حذر الإمام سهل رضى الله عنه من صحبة ثلاث أصناف : الفقراء المداهين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الغافلين .

وقد قيل عليك بصحبة من يعظك بلسان فعله أكثر مما يعظك بلسان قوله . وقد قيل للإمام حسن البصرى رضى الله عنه (وهو أفضل التابعين) ، نراك تتكلم بكلام لم نسمعه من غيرك فعمن أخذت هذا العلم ، قال عن حذيفة بن اليمان (الصحابى الجليل رضى الله عنه) ، وكان الصحابة يلقبون حذيفة بصاحب السر .

وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لا يصلى على الجنازة إلا إذا رأى حذيفة يصلى عليها خشية أن يكون الميت من المنافقين كما كان رضى الله عنه يسأل حذيفة ويقول له يا حذيفة هل ترى فى نفاقا فيقول : لا .

ويحدث سيدنا حذيفة عن نفسه فيقول رضى الله عنه :

كان أصحاب رسول الله يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى . وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا وابصة الصحابى " استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك " فأعلمنا بذلك أن لقلوب الصالحين نورا يهديهم إلى الحق .

وعلى المرید بعد أن يختار إمامه الرشيد أن يلتزم فى متابعتة الصدق والأخلاص والهمه ويعتبره والد روجه ، ويطلب مرضاة الله فى طاعته . وقد قص الله علينا فى سورة الكهف ما كان بين سيدنا الخضر وسيدنا موسى الكليم

عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم : (قال موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) وقد سافر سيدنا موسى سفرا طويلا ليلتقى بالخضر عليهما السلام ويأخذ عنه علم القلوب حين أخبره الله أنه أتى الخضر رحمة وعلمه من لدنه علما . وقد جاء في الحديث الشريف " من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم ولم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته وحرمت غيبته " وكما يلتزم المرید حسن الصحبة مع أستاذه يجب عليه بالمثل أن يلتزم حسن مرافقة إخوانه الذين يتلمذون على أستاذه وحسن معاملة سائر المؤمنين ، فلا يتعصب لأستاذه أو لفريقه إذ لا يتعصب في دينه إلا أحمق أوجاهل .

وربما عرض للإنسان من نفسه : هل صحبتى للأستاذ ضرورية ما دمت آمنت بالله وكتبته
ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره ؟ ثم ألا يكفي أن أتفقه فى دينى على هذه العقيدة
وأصلى وأصوم وأزكى وأحج كما أرشد الشرع ؟
فأقول جوابا على هذا وبالله التوفيق :

ما من كمال إلا وفوقه ما هو أكمل ، وقد ورد فى الحديث الشريف " إن الله يحب معالى
الأمر ويكره سفاسفها " وعلى المؤمن الموقن المتفقه فى دينه والقائم بحدوده أن يسعى
لتزكية نفسه لتزداد رقىا فى إيمانها ويقينها درجات بعد درجات لأنه بهذا الاستعداد الجميل
يكون مهيبا لكسب الكمالات ومضاعفة الثمرات ولا يكون هذا إلا بمتابعة أستاذ أقوى منه روحا
وأكثر منه فى الدين إحسانا . فإذا اكتفى بمرتبته الأولى ولم يحاول بعدها مزيدا من الخير
يكون كمثل رجل يريد أن يعيش فى دنياه بالكفاف من الخبز القفار ويقول : يكفينى

أن أعيش فلا يطلب ما هو أدمم وأنفع لجسمه وأعود بالقوة عليه ، ولا شك أن المؤمن القوى أنفع من المؤمن الضعيف وإن كان فى كل خير . وكما أن للجسم أغذية متفاوتة فكذلك للروح أغذية متفاوتة فمن طلب الخسيس عاش ضعيفا ، ومن طلب الهنى عاش قويا وقد قال بعض الحكماء :

من يستطيع بلوغ أعلى رتبة ما باله يرضى بأدنى منزل

ولا يخفى أن مراتب الدين تتدرج من الإسلام إلى الإيمان إلى الأحسان ، ويشهد لذلك القرآن الكريم كما تشهد به السنة الشريفة ، انظر إلى قوله تعالى : (قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) ثم إلى حديث الإسلام والإيمان والأحسان الذى رواه مسلم بسنده عن سيدنا عمر وجاء فيه : " بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد

فجلس فوضع ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يده على فخديه وقال : يا محمد ما الإسلام ؟ قال أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت ، قال عمر فعجبنا له يسأله ويصدقه ! قال فما الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره ، قال صدقت ، قال فما الإحسان ؟ قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . يقول سيدنا عمر : ثم انصرف فلبثنا مليا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر أتدرون من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " ويعقب الإمام جلال الدين السيوطي رضى الله عنه على قوله صلى الله عليه وسلم " يعلمكم أمر دينكم " بأن الأركان الثلاثة - الإسلام والإيمان والإحسان - دين واحد فمن فرط في ركن منها فقد فرط في ركن من أركان دينه .

وينبغي أيضا أن يلاحظ أن الإيمان درجات يزيد وينقص وقد قال بهذا الإمام البخارى حيث قال : حضرت العلم عن ألف وثمانين شيئا أجمعوا على ان الإيمان علم وعمل يزيد وينقص ، ويؤيد القرآن الكريم ذلك فى آيات كثيرة والزيادة تكون فى متعلقات الإيمان لا فى جوهره .

ونخرج من ذلك بأن العلم بالدين مطلوب ولازم شرعا ولكن لا بد لمن يريد الحرص على أركان دينه أن يطلب إلى جانب العلم التريية الصوفية العالية التى تقوى روحه فى الدين ويرقى بها قلبه إلى مقام الإحسان الذى ينشده الصوفية . وإن عاش بالعلم والعمل القليل وحدهما ولم يسع فى صقل روحه على يد أستاذ عارف من عباد الرحمن ومن أهل الإحسان فى دينه كان ضعيفا فى همته فاترا فى عزمه راضيا بالدنى دون السننى فى دينه وتعرض فى ضعفه هذا لغواية الشيطان . وقد قالوا : إن الذى لا يأخذ عن أستاذ يكون كالشجرة التى تنبت بنفسها فهى تورق ولكنها لا تثمر ، وإذا كان المرء لا يقنع بالقليل فى دنياه الفانية

فكيف يقنع بالقليل فى آخرته وهى أعز وأبقى ولا بد للإنسان من مرب يعينه على نفسه وشيطانه وناصح مأمون النصيحة عرف مسالكهم يستعين به على سلوك طريق الهدى بالقول والعمل ، وقد جاء فى أدعية عباد الرحمن كما قص الله علينا وصفهم فى سورة الفرقان قولهم (واجعلنا للمتقين إماما) فسئلوا الله أن يهيئهم لإرشاد أهل التقوى فى دينهم إرشادا يزدادون به هدى على هداهم (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .

وقد أخذ سادتنا الصحابة التربية العالية عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وقد غمرتهم أنواره غمرا ، فلانت قلوبهم بعد قسوتها ، وخشعت أرواحهم بعد جموحها ، وقد كان يجلس إليه صلى الله عليه وسلم البدوى الجلف فلا يقوم من مقامه حتى يصير ملكا رجيما بعد أن كان شيطانا رجيما وليس هذا بالعلم وحده بل بالصحبة الصالحة ، وثمرتها العلم والتهديب الروحى والنور القلبي ، فالعلم يبدد ظلمات الجهالة من العقل ، والنور يبدد آفات

القساوة من القلب (ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور) .
وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذوقون من حلاوة القرآن ما لا نذوق ، وكانت تقشعر
منه جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فما لنا لا نحس بإحساسهم والقرآن لم
يتغير ؟ الجواب على ذلك ليس بعسير ، فالقلوب بالغفلة عن الآخرة تغيرت ، والنفوس تكدرت
والأرواح صدأت ، فصرنا نضحك حيث كانوا يبكون ونمزح حيث كانوا يجدون ، وننام وكانوا
قليلًا من الليل ما يهجعون ، أوليس هم الذين اغتربوا عن أوطانهم وأهليهم وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله ؟ أوليس منهم الذين ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت الأرض بما
رحبت حين تابوا بعد تقصير وقع ؟ أوليس هم الموصوفين بالوصف الخالد (رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم

من أثر السجود) ؟ أوليس هم الذين كانوا (يوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصصة)
فأين نحن من هذه الصفات وأمثالها ؟ إن الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين الذكر والغفلة ،
أو بين الحضور والقصور ، أو بين الظلمات والنور .

ويتكلم سيدي جلال الدين الرومي عن سلفنا الصالح فيقول رضى الله عنه : لقد كان
الأولون حريصين على ترك الحرص وكانوا فى بعض ما أحل لهم أزهد منا فيما حرم علينا ،
وكانوا لصغائر الذنوب أشد أستعظاما منا لكبائر المعاصى حتى كادوا يفوقون بفطرتهم صومنا
ويتحدوم بنمومهم يقظتنا وربما تركوا سبعة أبواب من الحلال من أجل باب من الحرام يخشونه
، فعملوا صالحا ، وكسبوا حلالا ، وأكلوا طيبا ، وانفقوا برا ، وقدموا أجرا فعش أيها المؤمن فى
ذكراهم كأنك معهم ولا تسلط الهوى على نفسك ولا تدع الأحجار المتراكمة من الخطايا تحطم
قلبك فإن الفخار إذا انكسر لا يرقع ولا يعاد طينه . وقد أثنى على آداب سادتنا الصحابة فى
صحبتهم لسيد

المرسلين صلوات الله وسلامه عليه فقال تعالى (إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذي امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) . وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يحب إليهم صحبة بعضهم البعض ، فأخى بين المهاجرين والأنصار وكان الواحد منهم يرث أخاه في الدين حتى نسخ ذلك بأولى الأرحام ، وكان ذلك لتعويد المؤمنين على التعاون على البر والتقوى بصدق ومحبة وأخوة حقة ، وأنعم بأخوة الدين من أخوة . والإسلام دين لا يعرف الشعوبية ، ولا يدعو بدعوى الجاهلية ، بل يسوى في الدين بين العربى والعجمى ، والشرقى والغربى ، ولا يفضل أحدهما على الآخر إلا بالتقوى .

والذى يؤكد لنا ضرورة الشيخ الصوفى المرشد أن جهاذة العلماء أمثال الإمام الغزالى والإمام العز بن عبد السلام والإمام ابن عطاء الله السكندرى أخذوا التربية الصوفية عن شيوخهم

ولم يكتفوا بما حصلوه وتبحروا فيه من العلوم الشرعية وصدق من قال
ومن عاشر النفس الزكية لم يزل

يزيد بها حسنا على القرب والبعد

وقد تخلف مرة سبدا ابن عطاء الله رضى الله عنه عن مجلس شيخه الإمام المرسى أبى العباس ، فعاتبه فقال : يا سيدى استغنيت بك ، فقال الإمام ما أستغنى أحد بأحد وما أستغنى سيدنا أبو بكر الصديق عن سيدنا رسول الله يوما واحدا .

(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى :

أجمع العارفون من أهل التقوى على أن ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى يصقل القلوب ويوقظها من غفلتها ، ويكسبها صفات عالية فى الدين لا تتأتى لها من غيره ، فوق أنه يعالجها من أمراضها التى تسبب لها الكدورة وتورثها البلادة كالعجب والرياء والحقد . . . إلخ
ومن شأن هذه الأمراض الباطنة أن تسدل

حجبا على القلوب فتعكر عليها نور الإيمان وصفاءه كما تعكره المعاصي سواء بسواء :
 .والجمر يوضع فى الرماد فيخمد .

لذلك أرشدوا تابعيهم إلى ذكر الله والإكثار منه سرّاً وجرهاً ليجمعوا القلوب على الله ، كل بحسب مذاقه وفتح الله عليه ، وكانوا هم قدوة صالحة لهؤلاء التابعين فآتت دعوتهم أطيب الثمرات وهى دعوة بالعلم والعمل ، لا بالقول والجدل ، وقد قال الإمام الجنيد رضى الله عنه : ما طلبنا التصوف بالقليل والقال والمرء والجدال بل طلبناه بالجوع والسهر والأفعال . وقد جاء فى الحديث الشريف (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

وقد كان من أثر العلم والعمل بإخلاص أن أوتى هؤلاء الأكابر الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً

كثيراً) . فلقنوها لتابعيهم وهدوا بها من الضلال وعصموا بها من الفتن وصارت نورا يستضاء به على مر الأجيال . وفى هذا المقام يقول أحد الصوفية الفرس فيما ترجمه عنه صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

إذا الورود خلت من طيب نفحتها

فلا تزامم بها فى الأرض بستانا

إذا الوجوه خلت من نور سجدتها

لم تستحق غداة الموت أكفانا

إذا القلوب خلت من ذكر خالقها

فهى الصخور التى تحتل أبدانا

إذا خلا المرء من فهم ومعرفة

ظلمت نفسك لو تدعوه إنسانا

والعلم تحصيل ، أما المعرفة فمذاق ، فقد يكون الإنسان على علم بالطب وهو عليل ، ولا يتداوى حتى يأخذ الدواء تطبيقا للعلم . ويبين لنا سيدى الإمام جلال الدين الرومى رضى الله عنه الفرق بين العلم والمعرفة فيقول : هل قطفتم وردا من الواو والراء

والدال ، إذهبوا فابحثوا عن حقيقة المسمى ، أى أن علمك بهجاء ورد لا تشم به رائحة الورد بل لا بد من سعيك إلى البستان .

ولا عجب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وكما جاء فى الأثر عنه صلوات الله وسلامه عليه (إذا رأيتم الرجل أوتى زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة) .

وتأييداً لصدق دعوة هؤلاء الأئمة المرشدين ظهرت على أيديهم خوارق العادات وهى ما تعرف (بالكرامات) ، ليربط الله بها على قلوب تابعيهم ويلاحظ أن كرامة الولي معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الله يكرمه بها بسبب اتباع شرعه بهمة وصدق . وقد رأينا من أستاذنا رضى الله عنه بل ومن إخواننا شيئا كثيراً جداً لا ينكره إلا المكابرون .

ومع ذلك فإن الكرامات ليست شرطاً فى صحة إمامة هؤلاء المرشدين ؛ بل الشرط اللازم والأهم هو اتباع الكتاب والسنة بإخلاص ، ولذا قيل للإمام المرتعش رضى الله عنه : فلان يمشى

على الماء ، فقال عندى من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء . وقد كان سيدى الإمام أحمد الرفاعى يقول : طريقى دين بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، ونفس بلا شهوة ، وقلب عامر بالمحبة .

ولصدق هؤلاء الأكابر مع الله ينفذ الله دعوتهم إلى قلوب تابعيهم ، فتنقاد طائفة لهم وتتشرب مبادئهم وتزدهر على أيديهم ، فينضج من تابعيهم من يكون قدوة لغيره فتتوارث دعوتهم جيلا بعد جيل وذلك من آيات الله فى حفظ دينه القويم . (والله جنود السموات والأرض) ولقد صحبنا شيوخنا الأجلاء ونحن نجهل ديننا فصرنا علماء على أيديهم ، ولولا صحبتهم ما استطاع مثلى وأنا خريج كلية التجارة أن يؤلف كتابا فى فقه العبادات وآخر فى المعاملات وقد نالا استحسان علماء الأزهر المتخصصين ، وقد تم توزيع الكتابين هدية بدون ثمن ،

كما أنى ألفت كتباً أخرى كثيرة ، وحاضرت فى النوادى وكلليات الجامعة ، بل وفى قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف ، وكان لمحاضراتى فى التصوف أثر كبير فى أوساط أهل العلم والدين حتى لقد كتب لى بأسلوبه الخلاب السيد العميد المفاضل محمد حمدى عميد كلية التجارة الذى تشرفت بالتخرج على يديه فقال مد الله فى عمره :

عزيرى الحسن التقى النقى : (تالله إنك لسعيد ، سعيد فى الدنيا والآخرة ، لأنك بهذا الصفاء الربانى صفاء السيرة والسريرة ، كذلك وبهذا العزوف عن كروب الدنيا الدنية والإقبال على فيحات الآخرة الرضية قد وصلت إلى السماء الأعلى عند غاية المنتهى ، فيا عجباً كيف بدأت وثابرت حتى وصلت إلى أن تعى بقلب ظاهر ونفس مطهرة كل ما تحاضرنا به من الآيات البينات ، والروحانيات السمات ، فأنى لك هذا الملتقى ، وكيف يمكن أن تصل بى مما علمت رشداً . لقد أصبحت أتمنى أن أراك رأى العين لأجتلى من محياك ذياك النور الذى تحكيه ، أو أجد القبس الذى

يهديني سواء السبيل ، لأنى فى هذه السن المتأخرة والمتطلعة وقد نيفت على الثمانين .
وبلغتها . لا يمكن لى أن أخلى نفسى من هموم الدنيا واو ضارها ، لكى أفرغ وأنصب وأرغب
إلى ربي الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقن وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى
يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، كيف اخلع وشاح الدنيا
وأتسريل بسرابيل التقوى والصلاح متجردا إلى الله وحده . . .)) وهى رسالة طويلة أعتز بها
من أستاذ أساتذتى الجامعيين مد الله فى عمره ، وقد جاءتنى فى سبتمبر ١٩٦٥ .
ويعول السادة الصوفية فى تربية القلوب على ذكر الله ذكرا كثيراً وبأسمائه الحسنى الواردة فى
الشرع ، ويلحق بذلك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الاستغفار ، ومن أقوالهم
: الذكر منشور الولاية وسلم الهداية وشجرة المعارف وثمره كل عارف ، ويقول سيدى الشيخ
على عقل الهاما وارتجالا من فوره :

إن الطريق هي الذكر الكثير فلذ

بالذكر هذا هو التقوى هو القدم

وقد روى الترمذى أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به ، فقال : (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله) وإذا تأملت في قوله تعالى : (فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) رأيت أن الذكر الكثير مما وجهنا الله سبحانه إليه .

وقد جاء في تفسير الإمام ابن كثير عند قوله تعالى في سورة الأحزاب (يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً) . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً

معلوما ثم عذر أهلها في حالة العذر غير الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقيوداً وعلى جنوبكم) بالليل والنهار ، في البر والبحر ، في السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة .

وعند قوله تعالى (هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) . يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : هذا تهيب إلى الذكر أى أنه سبحانه يذكركم فاذكروه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منه) . وأضاف الإمام ابن كثير يقول : والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاة البخارى . أقول وإننا إذا تأملنا فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيماً)
 (إذا تأملنا فى هذا القول الكريم نجد أن الله تعالى توج المقامات كلها بالذكر الكثير وصدق من قال :

والذكر أفضل باب أنت داخله

الله فأجعل له الانفاس حراسا

ويكون الذكر فرادى وجماعة ، والجماعة فيه من باب التعاون على البر والتقوى . ولا تعباً
 بمن يقولون إن الجماعة فيه بدعة ، فإن البدعة المنهى عنها هى ما تتعارض مع قواعد الدين أما ما استحدثت واتفق مع قواعد الدين فهو بدعة حسنة ،

وقد جمع سيدنا عمر في خلافته المؤمنين على إمام واحد في صلاة التراويح ولم يكن ذلك قائماً أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ولا في السنتين الأوليين من خلافة عمر رضى الله عنه ، وحين رأى سيدنا أبو بن كعب يصلى بالناس إماماً صلاة التراويح . اختاره أمير المؤمنين لأنه كان أقرأ الصحابة لكتاب الله . قال أمير المؤمنين مسروراً بالجماعة المستحدثة : نعمت البدعة هذه .

وقد قال سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه إلهاماً وارتجالاً في الرد على المعترضين ، وكنا نذكر جماعة وهو ينشد على مسمع الذاكرين والحاضرين فقال فيما قال :

وقالوا الجماعة فى ذكركم

وأنتم قيام مقام البدع

فقلت نعم وهى ما نبتغى

وهى عندنا أحسن المتبع

أرى بدعة لا تصادم فرضاً

وتثمر خيراً أجلاً الورع

أتانا الكتاب بذكر الإله

وحسبك فى نصه ما سطر

وتنشط فى الحركات الجسم

إذا سجد المرء أو إن ركع

وأن الرجال بها كالغصون

تميل مع الريح لا تمتنع

ونعرف عند اليمين اليمين

ونترك عند الشمال الجزع

وأن الجماعة مفروضة

وحسبك نسا صلاة الجمع

وفى قوله رضى الله عنه :

وإن الرجال بها كالغصون

تميل مع الريح لا تمتنع

يشير رضى الله عنه إلى الحديث الشريف : مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح ها هنا وها

هنا .

٦ . كيف تختار أستاذك

أما وقد قدمت لك ما تأخذ منه فكرة عن الصوفية وما يدعون إليه ، فإنى على ضوء ما قدمت أبين لك بإذن الله كيفية اختيار أستاذك من بينهم إن كنت ترجوا الله واليوم الآخر وتحب أن تذكر الله كثيراً .

راع أن يكون أستاذك صوفيا أو متصوفا منتهيا ، وقد عرفه ابن الجوزى فقال : المتصوف المنتهى هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان كأنه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تنمو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلم ، منكمش على العمل ، ساع فى طلب الفضائل ، خائف من النقائص ، فلو رأيت التوفيق والإلهام الربانى كيف يأخذ بيده إن عثر ، ويمنعه من الخطأ إن هم ، ويستخدمه فى الفضائل ، ويستتر عمله حتى لا يرى منه ، فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه .

ويقول سيدى جلال الدين الرومى رضى الله عنه فى وصف أئمة الإرشاد رضى الله عنهم :
سبحان من قدر فهدى ، ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، إن إلهام النحل هو الشهد ، وإلهام
حشرة القز هو نسج الحرير ، وإلهام البلبل أغانى السحر ، وإلهام رجال الله نور يشهدون به
ملكوت السموات والأرض .

صدقوهم هم مصابيح الدجى ، أكرموهم هم مفاتيح الرجا ، (إتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم
مهتدون) .

وأنت ترى من هذا أن الأستاذ لا يتأتى إرشاده النافع لغيره إلا باستعداد فطرى فيه ، وبعناية
إلهية تواتيه ، فيختصه الله بفضله ، ويجعله ميسرا لما خلق له ، من توجيه الخلق إلى الحق
بالعلم والعمل وسطوة النور القلبنى الذى يمشى به فى الناس .
وقد تقول : وكيف لى أن أراعى استيفاء الأستاذ لهذه الصفات وأنا أصغر منه سناً ولم يتيسر
لى تتبع حياته منذ

نشأته ؟ فهناك بعض نصائح تعينك على حسن اختيار الأستاذ :

(أ) يمكنك أن نراعى فى الأستاذ الذى تتخذه إماما لك فى تربيتك الصوفية توافر شروط خمسة هى كما بينها أهل الرشد : ذوق صريح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة . ومن العلامات الدالة على توافرها : السخاء ، وحسن الخلق ، والشفقة على خلق الله ، وعدم الأنكباب على جمع الدنيا ، ومجانبة الدعوى ، وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس ، وانكسار قلبه مع الله ، وظهور البركة والصلاح فى أتباعه - وليس من لازمه الكرمات والأخبار بالغيب .

(ب) يمكنك أن تقتدى فى إختيار أستاذك بغيرك ممن تثق بصدق دينه وحسن إدراكه من إخوانك المؤمنين ، خصوصا من هم أغزر منك علما بالدين ، وأكثر فيه رشدا ، فإن هؤلاء لا يتخذون إمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل لإرشادهم فى سلوكهم لله تعالى .

(ج) تسأل الله فى سرك وجهرك أن يدلك على الأستاذ فإنه تعالى إذا علم صدق العبد فى دعوته أجابه وأعانه ويسر له سبيل الإرشاد ، والله تعالى يقول : (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) .

ومن المفيد أن أنقل لك ما قاله الإمام أبو على الثقفى الصوفى : لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس ، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة مع شيخ أو إمام مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الأقتداء به فى تصحيح المعاملات .

ويقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى الهامه الفورى المرتجل الذى بهر كبار العلماء وكان آية كبرى من آيات الله التى أيد بها سبحانه الطريقة الخليلية :

وعندى أن الأمر ليس كما ترى

فلا بد من سوق القلوب لمن يدرى

إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونوأه
سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار ما نورها يسرى

٧ - من هو أستاذى ؟

بعد هذه المقدمة الموجزة يطيب لى أن أسعد بتعريف إخوانى المؤمنين بأستاذى الفاضل الكامل والهادى الرشيد ، قدوتى إلى الله وذخيرتى عنده ، سيدى الشيخ العارف بالله السيد / عبد السلام الحلوانى لقبا الخليجى بلدا ، الشافعى مذهبيا ، الخليلى البيومى طريقة .

اسمه وألقابه :

هو السيد أحمد عبد السلام الحلوانى الذاشتهر فى صغره بأحمد الراضى ، وعرف بين الناس باسم السيد عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه .

وقد ولد رضى الله عنه بقرية رأس الخليج مركز شربين محافظة الغربية فى يوم ٢١ من رمضان سنة ١٢٩٢ هجرية فى بيت علم وشرف وصلاح متوارث ، وكان رضى الله عنه يحيى كل عام ميلاده بدعوة جميع الأخوان إلى طعام الإفطار ويسمىها ليلة الشكر ويخدمهم فيها بنفسه وينتقل بينهم يؤانسهم ويؤاكلهم على كثرة الموائد الممدودة .

أبوه :

أما أبوه : فهو العلامة العارف بالله سيدى الشيخ أحمد ابن أحمد ابن إسماعيل الحلوانى الخليجى الشافعى الخلوتى صاحب التأليف

الجامعة التي جاوزت الستين في علوم الدين واللغة والتصوف ، وقد كان آية زمانه وإمام وقته في الدعوة إلى الله تعالى ، وقد توفي رضى الله عنه سنة ١٣٠٨ هجرية ، وما تزال تأليفه مرجعا لفحول العلماء وأكابر العاملين . والله در المرحوم حفى بك تاصف إذ يقول مشيرا إلى بعض فضله ، وقد كان رحمه الله من تلاميذه :

أى فن ليس فيه مفردا أو سباق لم يحز فيه السباق
سله عما شئت فيما شئت وتعجب بعد ذا مما يساق

وقد أخذ سيدى الشيخ أحمد الحلوانى الطريقة الخلوتية عن غوث زمانه سيدى العرف بالله الشيخ عمر بن جعفر الشبراوى وكيل مشيخة الأزهر الشريف ، ويخاطبه سيدى الشيخ الحلوانى مادحا له فيقول :

بوركت من عمر وبورك معتزك

وبوركت شبرا لأجلك من بلد

أما أبو عبد السلام فإنه

كنزى فى استاذى المدد المدد

وشبرى هى شبرا زنجى من قرى مركز الباجور منوفية وهى قرية سيدى عمر وبها مثواه المبارك رضى الله عنه . ومن طريف ما وقع بين سيدى الشيخ أحمد الحلوانى وسيدى الشيخ عمر الشبراوى أن سيدى الشيخ أحمد قرأ يوما الحديث الشريف " إن الله يبغض الحبر السمين " والحبر هو العالم وكان سيدى الشيخ عمر سمينا فخطر فى قلب سيدى الشيخ الحلوانى أن شيخه عالم وسمين ثم استغفر ربه ودفع عن نفسه خاطر الذى هجس فى نفسه عفوا فلما لقى بعد ذلك شيخه فاجأه الشيخ بقوله : الحبر السمين غليظ القلب يا أحمد ، وليس غليظ البدن ، فقال سيدى الشيخ الحلوانى : ياسيدى الشيخ تحاسبتى على خاطر خطر عفوا وطاردته ، خذونا واحدة واحدة لا تحاسبونا على الخواطر القلبية .
وقد سمعت هذه الرواية من سيدى القطب الشيخ عبد الخالق

الشبراوى حفيد سيدى الشيخ عمر وهو والد العزيزين الشيخين العالمين : الشيخ كامل والشيخ عبد السلام الشبراوى ، القائمين على شئون الطريقة الخلوتية ، وهما من أجل من عرفت من الدعاة إلى الله فى هذا الزمان وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول (نرية بعضها من بعض) .

نشأته :

وفى كنف والده الإمام الجليل نشأ سيدى وأستاذى المبارك ، فحفظ القرآن والامتون على يد عم له ، وتفقه علما وعملا على يد والده كما أخبرنى رضى الله عنه ، وكان أبوه يلمس فيه النجابة والصلاح ، وبشره بنور بصيرته ، بأن شأنه سيعلو فى الدين وقال له " عبد السلام شيخ الإسلام " وذكر لى رضى الله عنه أن شيخ أبيه سيدى عمر بن جعفر الشبراوى قطب عصره كان مرة فى زيارة أبيه فلمحه بين الصبيان فلاحظه وأعطاه قرشا وقال له خذ هذا واحفظه عند والدتك ولا تضيعه ، وكان سيدى

عمر رضى الله عنه بتلك المنحة يبشر أيضا بما سيكون لأستاذى العظيم من فضل فى مستقبله ، وهو ما كان بحمد الله . وقد لقنه أبوه العهد من صغره على الطريقة الخلوتية وبعد أن حفظ القرآن والمتون أرسله فى طلب العلم إلى الأزهر الشريف إلا ان المنية عاجلت والده فى سنة ١٣٠٨ هـ فرجع إلى بلده واشتغل بزراعة أطيانه التى ورثها عنه ، وجد فى دينه كما جد فى دنياه فبسط الله له عيش الدين والدنيا معا ، فأنفق من ماله كثيرا فى سبيل الله ، وخدم إخوانه الخلوتية ، وكان قدوة طيبة لهم فى الهمة ، فاجتمعوا عليه وانتفعوا من صحبته واعتقدوا . وأخبرنى رضى الله عنه أنه كان يواظب على قراءة ورد سحر قبل الفجر .

ثم التحق بوظيفة فى الدائرة السنية وعرف بين أقرانه بالثقوى والصلاح فاعتقدوه كذلك وانتفعوا من ملازمته ، وروى لى رضى الله عنه أن رئيسا له حينئذ شكاه له من استعصاء علاج حرمه من مرض أصابها ، فقرأ سيدى شيئا

من القرآن بنية شفائها فشفيت فأزداد رئيسه تعلقا به واستمساكا بالعقيدة فيه ولقبه بالشيخ . ثم رجع سيدى إلى الاشتغال بالزراعة والتجارة ثم استأنف العودة إلى التوظيف فاشتغل سكرتير خاصا لمحافظ القنال ، ثم ترك هذه الوظيفة والتحق بوظيفة فى دائرة باغوص باشا نوبار بالفيوم ، ثم عاد إلى بلده وتعرف بعد ذلك إلى الولى الربانى والقطب النورانى ، وغوث زمانه ومجدد قرنه ، سيدى الحاج محمد أبى خليل (ساكن ضريحه الأنور الملحق بمسجده الكبير بميدان الزقازيق) وكان قد نشر فى الناس نوره ، فأخذ عنه الطريق الخليفة البيومية برؤيا رآها ، فقربه ذلك العارف الكبير إليه وأقبل بقلبه عليه ، فازدهر وازدان حتى لقبه شيخه بولى الله الكامل ، وقد قال لة مرة على ملاء من إخوانه : والله العظيم ، والله العظيم ، أنت قطب ، انت قطب .

وقد أذن له شيخه القطب سيدى الشيخ أبو خليل بتلقين

العهد على الطريقة الخليلية البيومية ، فأخذ عنه جمهور كبير من بلاد عديدة فى حياة شيخه ، وكان الشيخ يمتدحه كثيرا للأخذين عنه وينوه لهم بفضله وصدق دينه .
وقد ترك سيدى الأستاذ بلده بأمر شيخه (كما أخبرنى رضى الله عنه) والتحق بوظيفة فى دائرة المغفور له الأمير عمر طوسون بجهة دميرة فنشر دعوته لله فيها وفى القرى المجاورة .
وفى دميرة تعرف إليه سيدى الشيخ على عقل وهو فى السبعة عشر من عمره فأخذ عنه ففتح الله عليه فتح الأولياء وصار علما بارزا من أعلام طريقتنا المثلى ، وجاءه فتح الإلهام والعلم اللدنى بعد أربعين يوما من سلوك الطريقة الخليلية كما أخبرنى بنفسه رضى الله عنه وعن شيوخه أجمعين . وكان سيدى الشيخ على عقل سببلى لمعرفة سيدى الشيخ عبد السلام ، وكان سيدى الشيخ عبد السلام سببلى لمعرفة الطريقة الخليلية ، وكان سيدى الشيخ أبى خليل بابى إلى معرفة الله فجزى الله الجميع عنى خيرا كثيرا .

ثم نقل أستاذى إلى مقر الدائرة بالإسكندرية فكثر تابعوه فيها وفيما جاورها من البلاد مثل كفر الدوار ورشيد وإدكو . . إلخ ، وظهرت البركة على أصحابه ، وكان منهم طائفة من العلماء وخريجي المدارس العليا فعرفوا زملاء هم به فأخذوا بالمثل عنه ، واعترفوا من منهاه الصافى فرووا وامتازوا بالآداب الدينية السامية حتى صارت لهم سيما تميزهم من الرشد والكمال ، ولا تعجب فالمرء على دين خليله .

وكان شيخه سيدى أبو خليل رضى الله عنه يزوره فى مقره ويزور معه أتباعه فى البلاد العديدة التى فتح الله قلوب أهلها على يديه وكان يثنى لهم عليه فيزدادون تعلقا به وحباً فيه ، وكان يجله أمامهم إجلالا كبيرا لا يدانيه فيه أحد من خلفاء الشيخ الآخرين .
وكان هو أيضا رضى الله عنه يجلسه كل الإجلال ويرد ما هو فيه من الفضل والنعمة له باعتباره مربيه وصاحب اليد عليه وقد جاء فى الحديث القدسى " عبدى لم تشكرنى

ما لم تشكر من أجريت النعمة لك على يديه " وكان يقول رضى الله عنه عن شيخه إنه كان آية من آيات الله ، كما كان يقول لى إن البركة التى يراها فى دينه ودنياه هى بركة شيخه سيدى الشيخ أبى خليل رضى الله عنه .

واعترافا بفضل شيخه ألف أستاذى رضى الله عنه كتابا فى سيرته سماه (السيرة الخيلية) وهو إلى جانب السيرة من المراجع المفيدة فى الدعوة إلى الله وآداب السادة الصوفية وهو مؤيد بأدلة قوية من الكتاب والسنة ، وقد شهد له أهل المعرفة بأنه من خير ما كتب فى هذا الباب .

وإليك بعض ما وصف به أستاذى شيخه أبى خليل رضى الله عنهما فى ذلك الكتاب : " فى أوائل القرن الرابع عشر ظهر قطب هذا العصر الغوث العامل سلطان الذاكرين ، وتاج العارفين وقدوة العاملين ، وحبل الواصلين ، والشمس التى أشرقت على القلوب فانتعشت ، وبسط عليها شعاع الإخلاص فانبسطت ،

وأمطر عليها غيث الرحمة فربت ، وبدز فيها بذور المعرفة فأنبئت ، وسقاها من ماء إيمانه فمنت ، ولاحظها بروح المناجاة فأينعت ، وتعهدتها من عبث الشيطان وتعدي المفسدين فحفظت حتى أثمرت ، وعرفت مولاها وخالقها سبحانه وتعالى معرفة حقيقية فابتهجت ، ودبت فيها روح الحياة الطيبة فألهمت ، وأعطاها معطى النعم علما من لدنه خالصا من شوائب الأغيار فظهرت من رجس الظهور ومن نفثات الشياطين فعملت بما علمت وسارت بسير أهل الحقيقة علنا موسى لشريعة فسلكت وظهرالحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، وقامت على ذكر الله فخشعت (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) فأمنوا به إيماننا سلك بهم إلى معرفة نفوسهم ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

" وذلك هو الأستاذ الجليل ، والشيخ العظيم ، الذى ليس له مثيل ، سيدى وأستاذى وقدوتى إلى الله تعالى سيدى الشيخ

{ محمد أبو خليل } رضى الله عنه وأرضاه ، وأمه بروح تجلياته فى سلك خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

" ظهر رضى الله عنه فى فترة كاد الحق فيه أن يطمس بين أمة منصرفه عن الطاعة إلى اللهو واللعب والفسوق والعصيان وتقلب أهل الزيغ ، فكانت لا تجد من يفكر فى اتباع أوامر الشرع إلا قليل من المؤمنين . . . فلما ظهر رضى الله عنه ساق النفوس إلى معرفة ربه بمدد نبوى حقيقى أمده الله به من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ولحظه بعين عنايته ووالاه برعايته .

" دعا الناس إلى العبادة والطاعة فانتشرت دعوته وسطعت أنواره وانقادت له الأرواح فأمدتها من نور روحه الطيبة العالية فبذر فيها بذور الحب فاشتاقوا إلى مولاها ، وقادها إلى محبته فهاموا ، وقاموا على ذكره فتلدنوا ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

" فكان رضى الله تبارك وتعالى عنه لهم شمس الحقيقة من مشكاة ذى الجلال ، ومازال يجاهد ويدعوا بسر يبعثه الله فى القلوب فتؤمه الناس حتى انتهت إليه الرياسة فى هذا العصر ، فكان مع الكياسة والفتنة والذكاء ورجحان العقل الموهوب يقيم وزن الحقيقة بالقسط على دعائم الشرع ، فسلك المسلك القويم وأبان السبيل ، وهدى الناس إلى طريق مستقيم " .

وإنى وإن لم أر سيدى الشيخ أبا خليل رضى الله عنه ، فإنى أيقنت بعلو فضله وعظم شأنه مما رأيته فى أستاذى سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه من الكمال وسمو التربية ، وفى تلميذه سيدى الشيخ على عقل وهما من ثمرات غرسه المبارك ، وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : ليس الشيخ من حيا فى نفسه ، إنما الشيخ من حيا به غيره .

ويقول سيدي الشيخ على عقل واصفا سيدي الشيخ أبي خليل وارتجالا من كلام طويل :

أراد ربك يحيى القوم فانبعث
 آياته بعد إخفاء توالينا
 أتى مجددهم يحيى الطريق ومن
 أعطاه مولاه علما ثابتا فينا
 أبو خليل أعز الله سيرته
 محمد من لوجه الله داعينا
 شههم أشم قوى الجأش ذو همم
 مصرف سيد الخلق ينجينا
 أعطاه مولاه نورا لا حدود له
 فبين العلم والإيمان والدينا
 فكان بالفيض والألهام آيتنا
 للسالكين وكم أحيأ مردينا

وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم

أولاده بقيام الليل راضينا

ويقول المرحوم السيد زكى الحلوانى لابن سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه وكان من العلماء الأدياء { .

عهد من الإيمان طال مناراً

صقل النفوس وهذب الأفكارا

عهد رأيت أبا خليل قاده

ورعا فأوضح خطة وأنا را

يامن على علم أمجد قدره

عمرى وألبس من تقاه إزارا

خفقت بنود الحق حولك دائما

ورأيت جندك للتقى أنصارا

حتى كأنك لم تغب من بينهم

ما ردوا الأذكار والأشعارا

عبد السلام على يمينك يجتلى
 كأبى قحافة يملأ الأنظار
 وعلئ يزخر بالروئى كأنه
 ديمم السماء نفجرت أنهارا

ويقول المرحوم الشيخ عبد البارى الشرقاوى ، وكان من علماء الأزهر الأتقياء ، وهو من
 السادة آل البيت الأشراف :

كان ملكا فلم يزل يترقى
 فى المعالى حتى غدا ملكوتا
 إن هذا هو الخليل فقبل
 تراب أرض مشى عليها خفوتا
 من يشاهده شاهد الأفق الأعلى
 وألفى جلاله المنعوتا
 وقد أقام سيدى الأستاذ سنوات طوالا فى الاسكندرية

كانت لأصحابه روحا وريحانا ، ولا يزال لأهل الصلاح فى الآسكندرية يتحدثون عنها ويتغنون بها ، وقد روى لى سيدى رضى الله عنه أنه فكر مرة فى ترك العمل بالدائرة والعودة إلى بلده ولكنه عندما استشار شيخه لم يوافق على الفكرة فأذعن لرأية

وفى سنة ١٩٣١ نقل سيدى الأستاذ الى القاهرة بوظيفة مأمور دائرة طوسون فالتف حوله أصحابه الأقدمون الذين كانوا يعرفون فضله ، وصحبة آخرون ، وكان منزله بشبرا متابة للجميع من أصحابه وغيرهم من أحبابه ، ولا ننسى أنس الجلوس بين يديه ولا حلو حديثه رضى الله عنه .

وعلى الرغم من تقدم سنه وكثرة أعماله كان سيدى الأستاذ يضحى براحته وصحته فى الدعوة إلى الله ، فكان يزور أصحابه فى حفلات الذكر ليليا ، وكان يوالى أصحابه فى البلاد الأخرى بزيارته ، وكنت أصحابه فى بعضها ، وكان رضى الله عنه

يقول لى " الإخوان يحتاجون للموالاتة " ولا أنسى أبتهاج الإخوان بمقدمه وتأثره الشديد بفرقتة . وقد غنى الشيخ المرحوم أبو الفتوح الشرقاوى بصوته الشجى على مسمع الإخوان ونحن نغادر بلقاس فى أحد الزيارات :

مع السلامة يامن جدت بالمنن

والعود أحمد والبشرى مدى الزمان

فأبكى الحاضرين ، فقال سيدى الشيخ عبد السلام للسائق : أسرع بالسير . ثم طلب رضى

الله عنه إحالته إلى المعاش سنة ١٩٤١ لمرضه ولازم بيته ،

ولكن المرض لم يحجبه عن لقاء أحبائه وزواره والدعوة إلى الله ، وتدبير أمور الطريق ، وقد

قص قبل وفاته بأيام رؤيا لم نعرف مراده منها إلا بعد وفاته ، قال رضى الله عنه : رأيت طائرة

منقضة نزلت الى هنا وأخذتنى ثم سكت ، وقال للسامع : أتدرى من كان فيها ؟ قال لا ياسيدى

، قال كان فيها سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضى الله عنه يقول فى الأسبوع

الذى توفى فيه : أحب أن أخرج من الدنيا

وإخوانى يذكرون الله سبحانه وتعالى فى الحضرة لتخرج روحى بين أنفاس الذاكرين " . فلما كانت ليلة الجمعة ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣٦٣ هجرية ، الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، أجمع الإخوان بعد صلاة العشاء كعادتهم للتعبد والذكر ، فنادهم وطلب منهم أن يجلسوا إلى جواره وصار يحدثهم ويسألهم عن أهلهم ويؤانسهم إلى الساعة التاسعة مساء ثم قال لهم قوموا إلى مجلس الذكر ثم بدأ هو بذكر لفظ الجلالة (الله) ووفاه الاحتضار وهو يردد لفظ الجلالة إلى النفس الأخير ، ولم نسمع منه كلاما غيرها إلا قوله (الحمد لله رب العلمين) فكانت آخر جملة قالها، وفاضت روحه راضية مرضية ، وأجاب الله أمنيته .

ودفن فى قرافة سيدي عمر بن الفارض عصر يوم الجمعة من ذلك التاريخ ، ثم نقلت رفاته بعد ربع قرن إلى مسجده بقرية كفرطهرمس جيزة بعد صدور قرار جمهورى بذلك ،

رفع الله فى عباده المكرمين درجته ، وجزاه بجهاده فى سبيل الله خيرا كثيرا .
ومن عجيب ما سمعته من إلهام سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه ذلك البيت الذى سجل
به إلهاما لوقته تاريخ وفاة سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه بحساب الجمل حين قال :
تاريخه لأولى الألباب نكتبه

عبد السلام بفضل الحق جادينا

وحروف الشطر الثانى بحساب الجمل ١٣٦٣ وهى السنة الهجرية التى توفى فيها .
وقد احتفل بذكرى مولده بتصريح من وزارة الشؤون الاجتماعية فى ذى القعدة ١٣٦٤ وأكتوبر
١٩٤٥ وكان مولد جامع للأخوان كما كان فياضا بالأنس والبركان ، ويتجدد الاحتفال بذكره
كل عام .

كيف اتصلت به :

كان لى صديق من العلماء الوعاظ ، هو المرحوم الشيخ عبد الوهاب العيزى وكان يحدثنى
عن فضل طريقتهم الخيلية البيومية

ويمدح لى شيخه وإخوانه ، وكانت عندى فكرة خاطئة عن الطرق الصوفية وتابعيها .
 وكنت أظن أنه لا يتبعها إلا الدهماء والبسطاء ، ولا يدعوا إليها إلا المدعون لابتزاز أموال
 الناس بالباطل ، غير أنى فى الوقت ذاته كنت أتوق لصحبة إمام قوى فى دينه أزكى بصحبته
 روحى وأبعث به فيها الحياة الفتية النامية فى ميدان التقوى ومحبة الله تعالى ، ولما لم أجد
 هذا الإمام الذى أنشده عكفت على حفظ القرآن وقلت : كفى به مربيا حتى يهينى الله لى من
 فضله الشيخ القدوة الذى أتمناه .

وكان صديقى المذكور يزورنى كثيرا ، وفى إحدى الزيارات أعاد الحديث عن إخوانه وفضلهم
 فى الأدب الإسلامى ، ونوه بأخ لهم كفيف البصر ألهمه الله العلم والأدب بفتح قدسى ، ومن
 ذلك فيلقون إليه بأبيات شعرية يخمسها لوقته ويشطرها

وينطق على وزنها وقافيتها بقصائد طويلة يدعوا فيها إلى فضائل الدين ومحبة اله تعالى والتصوف ، ولأنى كنت متشعبا بفكرتى الأولى عن أهل الطرق الصوفية ظننت أن كلام صديقى إن هو إلا ضرب من المبالغة والتعصب وصارحته بذلك ، فقال لى : البينة على من ادعى ، فهل لك أن تصحبنى إلى مجلس الإخوان بمولد السيدة زينب رضى الله عنها ، فترددت فى اجابته إلى رغبته ، لأن فكرتى عن المولد لم تكن أقل حظا منها عن الطرق الصوفية ، إذ كنت أظن بل أعتقد أن الموالد كلها شعوذة وخرافات ومباءة للدجل فى ثوب الدين الكاذب ، غير أنى قلت : وما عليك أن تصحبه وتكشف أمر مبالغته وتزداد يقينا بعقيدتك فى المولد وأهل الطرق .

وما كدت أنظر إلى مجلس الإخوان حتى أخذتنى دهشة ، إذ رأيت فيهم طبقة محترمة ينم عنهم لباسهم ، والمطربشون فيهم أكثر من المعممين ، والشباب أكثر من الشيوخ ، وهم يذكرون

الله فى خشوع ، وينطقون لفظ الجلالة بمنطق واضح وإن كان فى همس ، ويتميلون يمينا وشمالا باعتدال ومن غير تكسر ولا هرج ، وزادت دهشتى حين أخذت أنصت لهذا العلم الربانى الكفيف وهو يثير حماس الذاكرين بشعر عربى مبين من السهل الممتنع رقيق اللفظ ، عذب المعنى يأخذ من السامع مجامع قلبه وحسه ، فما كدت أنصت له قليلا حتى أخذتنى رعدة وسرى فى بدنى دبيب كدبيب النمل ، أما صوته فجميل ، وأما كلامه فأجمل ، وكان لى ميل إلى الأدب العربى فأخذتنى نشوة الأدب فوق ذلك الأحساس الذى وصفت لك . وأذكر أنى حفظت للأستاذ أول بيت سمعته منه فى أثناء قصيدة يمدح بها سادتى آل البيت وهو على ما أذكره :

لا تحسبونى جهلت المقام فإنى بقلبى بكم أستنير

ولكنى مع ذلك لم أسلم بأن هذا الشعر إلهام وقتى وقلت لعله محفوظ ، وما هو إلا أن أنهالت على الأستاذ فى فترة

هدوء مجلس الذكر أبيات من كل حدب وصوب وهو يخمسها ويشطرها تخميسا وتشطيرا لا
شية فيه ، أذكر منه على سبيل المثال بعض ما كتبه عنه :

هات التجوم أصغ بها أبياتي إن المقام سما عن الكلمان
وقد خمسه بقوله على الفور :

آل النبي تزايدت لوعاتي

لا تحرموني الوصل قبل مماتي

يا طالبا وصفى لهم بالذات

هات النجوم أصغ بها أبياتي

إن المقام سما عن الكلمات

وسئل أن يخمس البيت الآتي :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

فقال توا :

دعونا إلى الميراث علما بشرعنا

وقالوا لنا ما حال نسل بناتنا

فقلت لهم هيا أسمعوا حكم شرعنا

بنونا بنو أبناءنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وسئل أن يشطر البيتين الآتيين :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم

رب ذكر قريب من نزحنا

وإذكروا صبا إذا غنى بكم

شرب الدمع وعاف قدحنا

فقال مرتجلا كذلك :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم

إن ذكراكم تزيد الفرحة

وأعيدوها علينا أبدا

رب نكرى قربيت من نزحا

واذكروا صبا إذ غنى بكم

نسى الكون فنال المنحا

وإذا ما يمم الحق دجى

شرب الدمع وعاف القدحا

ومما بهرنى مما سمعته من الهامه قوله رضى الله عنه :

شراب الحب يعرف بالمذاق

وما كل السقاة له بساقى

دعاة الحب أكثر ما تلاقى

وقل الصادقون فما تلاقى

ألا ياساقى العشاق مهلا

تعالى املاً كؤوسك من حقاقي

تركـت جميع خلق الله دونى
شغلت عن الخلق باشتياقى
إذا ما عشت لا أنسى إلهى
به أسمو من الأخرى المراقى
يعز على ترك الحب عندى
ولو بلغت بى الروح التلاقى
وكذلك هزنى قوله رضى الله عنه :
تجنبت الشكوك فما عرتنى
وأدركت الحقيقة فى مثولى
وفتشت العلوم وعارفىها
فلم أر كالمحبة من دليل
محبة خالقى مشكاة قلبى
على أنوارها ألقى وصولى

وكذلك قوله رضى الله عنه :

فتشت كل الخلق عن علم فلم

أر لى سوى رب السما من والى

فتركت كل العالمين وجئته

وجعلت نكرى ذاته منوالى

وغير ذلك كثير ، وكثير جدا ، والله يختص برحمته من يشاء ، ولقد صدق رضى الله عنه فى قوله :

وانى إذا حدثت قومى فانما

أحدثهم علما يقال له شعرا

ولم أك من أهل الخيال وإنما

علوم الهدى من حكمتى فيضها بحر

ولست الذى فى كل واد مرددا

ولكن واديتا المحبة والذكر

وهكذا كان ينساب كلامه كالسيل الجارف ، وذلك هو العالم الموهوب فضيلة سيدى الشيخ (

على عقل) رمز

الطريق ، وآية للعطاء ، وأحد أعلام الطريق الخليلية ، وكان إماما لمسجد المواساة بالاسكندرية .

وشوقنى هذا الذى رأيت وسمعت أن أكرر الزيارة لهم مع صديقى ففعلت فى الليالى التالية ، وشغفت برؤية هؤلاء الذاكرين وسماع هذا الناصح الأمين ، فسمعت فى الليالى التالية ما هو أغرب وأعجب ، إذ سمعت هذا الفاضل يفسر آيات من القرآن تفسيرا بينا لا يدع للسامع شبهة ، وكان يعرج فى تفسيره ، وهو يتدفق فيه تدفقا ، على أحكام فقهية ، فلا يكتفى بمذهب بل يتعداه إلى المذاهب الأخرى ، ويذهب فى سرد هذا الفقه المقارن إلى باب العلم ، فقلت أنعم بهذا الوسط يأخذ الدين بعلم ويهذب الروح بعمل ، وهنا علمت أن كل طائفة فيها الصادق والكاذب ، ومن الظلم أن ينظر إلى كل أهل الطرق على أنهم سواء فى الجهل والدجل ، كما علمت أن الموالد فيها الغث والسمين شأن كل الاجتماعات العامة ، فيها الأزهار والشوك ،

وقد خلوت لنفسي وقلت : ما أحوجك لمخالطة هؤلاء الذين لا يسألون الناس أجرا فتأخذ قسطا من علمهم وعملهم وادبهم ففاتحت صديقي برغبتي هذه فقال أدن من " الشيخ " يأخذ عليك البيعة بالطاعة لله ورسوله ، ثم يأذن لك بتباع وردنا ، وهو ذكر بعض أسماء الله الحسنى وصلاة على سيدنا رسول الله واستغفار ، فقلت في نفسي كل هذا ما يدعوا له الدين ، فتقدمت وإذا بهذا " الشيخ " مطربش ، فلا هو معمم كما يلقب ، ولا هو ذلك الشاذى بالشعر المرتجل والناطق بالعلم المنهمر ، وإذا هو سيدى وشيخى السيد " عبد السلام الحلوانى " المترجم له ، فبسط يدي إليه فبايعنى ، وما هو إلا أن تسارع كل الإخوان إلى وضع أيديهم معى فوق يدي وعلى ظهري ، وأمسك بعضهم ببعض ، وأخذوا يرددون معى ما قاله سيدى الأستاذ فى هدوء وتؤدة وكمال من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله واستغفار ، وعزم على التوبة ، وطرح المعاصى ، ومعاونة الفقراء

والمساكين على قدر الطاقة ، واتخاذ سيدي على البيومي وسيدي الشيخ أبي خليل مشايخي
في الروح .

ثم أعطيت ورقة مطبوع فيها بيان ما يطلب اتباعه ، فاسترشدت بها وسرت في أوراد الطريق
قدر المستطاع ، وبقيت أتردد على مجالس الإخوان حتى فرغ الأحتفال بالمولد ، فمكثت سنة
كاملة ملتزما أوراد الطريق ولا أعلم من أمر هؤلاء السادة شيئا ، وكنت أزداد إليهم شوقا شديدا
، وتعرفت على بعضهم وصادقتهم ، ومن أعزهم وأحبهم إلى قلبي الأستاذ محمد حسن محرم
المراقب السابق بوزارة الأوقاف ، وكان عندئذ طالبا بكلية الزراعة ، وله على فضل لا أنساه ،
فإنه كان يشجعني على الذكر الكثير ويصحبني إلى مجالس الذكر الدورية المستديمة .
وعلمت منهم أن سيدي الأستاذ الشيخ عبد السلام الحلواني

يقيم بالاسكندرية حيث هو يعمل بدائرة طوسون باشا
وقد تفضل أستاذى رضى الله عنه وبدأنى بالمراسلة فأجبتة شاكرا عطفه الأبوى ، فما كاد يصل
كتابى الأول حتى رد على بكلام هو السحر الحلال - كما سترى فيما بعد - ثم واليته ووالانى
بالكتابة وكنت أزداد به تعلقا واليه حنينا كلما مرت الأيام ، وكنت أعد الأوقات لرؤيته وأرجوها
فى كل وقت ، ولحسن حظى كان يتردد كثيرا لزيارة أسرته بالقاهرة حيث كانت مقيمة
للأستشفاء ، فكنت ألقاه وأسعد بصحبته مع إخوانى فى زيارته لآل البيت ، ثم نقل مأمور
للدائرة بالقاهرة كما قدمت فزاد اتصالى بى ، وكانت تتكشف لى فضائله وكمالاته رويدا رويدا
حيث كان رضى الله عنه يخفى من أمره كثيرا تواضعا لله ، وكان رضى الله عنه يوسع لى من
عطفه وبره - عن فضل منه لا منى - ما سأذكره على الدوام ولا أنساه ، رضى الله عنه
وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه .

تذكرت والذكرى تهيج لذي الهوى

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

ولا تزال رسائله الكريمة عندي أحفظها وأعتز بها ، وسأنقلها إلى إخواني في هذه الرسالة
لينتفعوا بما تضمنته من حكم كما انتفعت ، وليشموا عبيرها فتنتعش أرواحهم انتعاش الزهر إذا
خالطه الندى :

كم من يد بيضاء منك غرستها ثمراتها لبنيك أضحت مكسبا

شئ من وصفه وسجاياه :

كان رضى الله عنه ، متوسط القامة ، متوسط اللون ، متوسط الحجم ، ذا وجه مستدير ،
جميل المحيا ، أقى الأنف ، بهى العينين ، يلبس ملابس الأفندية ، ويستعمل النظارة ،
ويتختم بالفضة فى خنصره ، وكان خاتمه ذا فص من الفيروز ، وكان يمسك عصا ، وكان
يخلق ذقنه ولم يرسلها إلا فى أخريات حياته ، وكان ذا مهابة ووقار يلمسهما فيه من عرفه
ومن لم يعرفه ، وكان ذا تودة فى حركاته وكلامه ، وكان إذا سار مع الإخوان

سار بينهم ، فإذا رأهم تباعدوا وقف حتى يجتمع شملهم جميعا حتى يظن كل منهم أنه أدنى الإخوان إليه منزلة ، وكان يحب أن يشاركوه فى طعامه حتى أن مائدته كانت لا تخلوا من بعضهم .

وكان رضى الله عنه عالما عاملا ، حلما كريما ، راجح العقل ، جلى الفكرة ، عذب اللسان ، ثابت الجنان ، سليم الوجدان ، حاضر البديهة ، لطيف النكتة ، جميل العشرة ، ينصحك إذا أراد بالنظرة ، ويفهمك بالإشارة ، وكان يبدأ أصحابه بالجميل ويعفوا عنهم فى التقصير ، ويعتب عليهم بحسن التعبير ، وقد أهلتة هذه الصفات لأن يكون محبوبا من جميع عارفيه على اختلاف مشاربهم بل وأديانهم ، وكان إلى تفوقه فى العلوم الدينية عليما بشتى الشئون ، خبيرا بالحياة حتى أنك لا تفتح له باب الكلام فى موضوع حتى تراه من أعلم الناس به (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وكان رضى الله عنه نشيطا فى عمله الدنيوى دقيقا فيه ، يديره بمهارة فائقة ، وكفاية عجيبة ، حتى كان المشاهد له فى عمله ينقل عنه كثيرا من حسن تصرفاته ، وكان من لطفه ولين عريكته لا يقع فريسة لمكر الماكرين ، بل كان يأخذ حذره ويقتضى حقه كاملا ، ولقد رأيتُه ذات مرة يحاسب أحد البنائين على الطوب ويسأله كيف لم يكتف به مع أن المبنى لا يمكن أن يتجاوز الطوب الذى اعد له ، وما هو إلا أن أعترف البناء بأنه زاد فى ارتفاع الجدار بناء على رغبة أبداها أحد المرءوسين ن فقال له أستاذى رضى الله عنه : إنك خالفت تعليماتى وأنت المسئول عن هذه المخالفة وليست الدائرة ، ووجه اللوم للموظف الذى تعدى حدود اختصاصاته .

وكان كثيرا ما يقوم على خدمة أصحابه بنفسه ، ويدخل عليهم السرور ما استطاع إليه سبيلا ، وكان يعطف على فقرائهم ويواسيهم ويدنيهم من مجلسه ، ويدفع عنهم نفقات

الانتقال إذا سافروا معه ، وكان فى أسفاره لا يستريح حتى يطمئن إلى راحة رفقاءه جميعا ، وكان إذا أكرمه الله بكرامة وحدثه بها أصحابه قال " هذه صدفة " . وكان لا يتحدث عن نفسه ولا يحب أن يتحدث عنه أحد ، بل رأيت ذات مرة يطلب من بعض الإخوان أن يكف عن إلقاء قصيدة فيها مدح له ، وقلما كان يمر بقلب أحد الإخوان خاطر إلا همس فى أنه بالأجابة عليه من غير أن يشعر الآخرون ، وقد استفادوا من هذا التأديب كثيرا .

وكان رضى الله عنه كثير التعفف حتى عن أقرب الناس إليه فكان لا يقبل أن يدفع عنه أحد الإخوان شيئا ، كما كان يحمل متاعه بنفسه ، فإذا هم أحدهم بحمله قال " صاحب الشئ أحق بحمله " ، فإن جومل مرة رد الجميل مضاعفا .

وكنا نرى منه رضى الله عنه تصرفات نستطيعها ولا نعلم أنها من السنة ، فإذا طالعنا السنة النبوية وجدناها منها ، فتزداد

محبة فيه لحرصه على اقتفاء السنة الشريفة فى العبادات والعبادات ، ومن ذلك مثلا أنه كان يخلع نعليه عند الطعام ، وقد حدثنى رضى الله عنه أنه كان يحرص على تلك العادة فى دعوة الأمير له ، وأخبرنى رضى الله عنه أنه رأى مرة فى المنام أن أناسا يعترضون المارة ولا يسمحون لهم باجتياز الطريق ، فلما دنا منهم خشى أن يمنعه كما منعوا غيره ، فسمع كبيرهم يقول لهم لا تمنعوا هذا القادم من المرور لأنه يحافظ على سنة خلع النعلين عند الطعام ، فانظر إلى آثار الحفاظ على السنة النبوية الشريفة ، وصدق سبحانه إذ يقول : (وإن تطيعوه تهتدوا) .

وكان رضى الله عنه يتفقد الإخوان ، ويسأل عن غائبهم ، ويعود مريضهم ويدعوا له بين الإخوان بالشفاء ، وكان يعز عليه ما يشكون منه ، ويعينهم بالرأى والمال والجاه ، وكان الإخوان يستشيرونه فيشير عليهم بما يرى ، وفى كثير من

الأحيان يستغربون الرأى الذى يشير به فى أول الأمر لا يلبث أن يتبين لهم رشده ونُجَحَه وحسن عاقبته ، وكان الحازم منهم لا يراجعه بل يأخذ بما يشير به لأول وهلة من غير جدل ولا مراجعة .

ومع أنه كان يستشار من كل الإخوان فى مهام شئونهم العامة والخاصة ، كان رضى الله عنه لا يستنكف من استشارة غيره ممن يأنس فيهم أصالة الرأى ليعود الإخوان على المشورة وليقتفى أثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذكر أنه رضى الله عنه أستشارنى مرة فى أن يطلب من الأمير إحالته إلى المعاش ويقصد المدينة المنورة فيقيم بجوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية عمره ، فقلت له إن رسالتك يا أستاذى التى تؤديها هنا رسالة محبوبة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم مع بعد الشقة متصلون به بالمحبة ثم أنشدته شطرا من بيت شاديننا المبارك فضيلة سيدى الشيخ على عقل : وكم من بعيد ولكن قريب ، فنظر إلى وابتسم

قال : هكذا قال أخى الأستاذ محمود الحلوانى حين استشرته .
 وكان رضى الله عنه يحب أن يأكل من كسب يده ، حتى أنه بعد أن أحيل إلى المعاش أستأجر
 أرضا وزرعها واقتنى ماشية تدر اللبن ، فكان يكسب من هذه وتلك أكثر من الفرق بين
 المرتب والمعاش ، وكان يكره البطالة وينهى عنها إخواننا حتى لا يركن أحدهم إلى الكسل ،
 وكانوا جميعا يقلدونه فى النشاط واكتساب العيش بالجد والمثابرة فإذا أقبل الليل جدوا كذلك فى
 كسب الطاعة وادخروها لمعادهم .

وكان مع سخائه وبذله ما فى يده يكره أن تستشرف نفوس الإخوان لمتاع غيرهم وكان يضرب
 لهم المثل العملى فى ذلك ، فكتيرا ما رأيناه يرفض من أحبابه ما يعرضونه عليه كهدية ، فإن
 طابت نفسه لقبول شئ أسرع فى الأثابة عليه ، وقد أعجبه قلم كان معى فحاولت إعطائه له
 ليستعمله فأبى كل

الإبء ، ثم رأه بعد ذلك فى يد بعض الإخوان ، فقال هل أخذت هذا القلم من فلان ؟ قال إنى استعرتة لاستعماله ، فقال له عند انتهائك من حاجتك إليه رده إلى صاحبه ، فامتثل فقلت له إن نفسى طيبة بأن تأخذه فقال إن أستاذى أمرنى برده ولا بد من تنفيذ أمره .
 وكان رضى الله عنه يجيب دعوة الداعى مهما صغر شأنه إذ يرى فى ذلك إدخال السرور عليه .

وكان رضى الله عنه يحب تألف الإخوان وتوادمهم ويشجعهم ويفرح به ، فكانت أصحاب الأخ الصالح التقى الأستاذ محمد حسن محرم (وشهرته (حسن) فى غدواتى وروحاتى فلقبنا بالحسنين ، وكان إذا كتب لأحد إخواننا من الاسكندرية يقول وسلامى إلى الحسنين . وكان رضى الله عنه يحب أن تظل صدور الإخوان نقية ولذا كان يدعوهم إلى التصافى والتسامح ، وكان يضرب

لهم المثل العالى فى الصفح الجميل ، بل وفى الإحسان ، الى من أساء إليهم .
 وكان رضى الله عنه لا يعبأ بالتفاف الناس حوله أو بانفضاضهم ، وقد سمعته مرة يقول :
 والله لو أن معى خمسين ألفا انفضوا فى لحظة واحدة ما عبأت بهم لأنى مع الله ملك الملوك ،
 وقد تأثرت بكلمته هذه تأثيرا كبيرا لأن كلماته كانت دائما ذات وقع شديد على القلوب ، شأن
 الصادقين مع الله .

وكان رضى الله عنه مع بسطة عيشه فى منزله وحسن رياشه وطيب طعامه ، يتنقل فى
 الأرياف ، ويتحمل التعب فى نومه وطعامه وشرابه وسائر أسباب الراحة ، لا يبتغى من هذا إلا
 وجه الله ، وكان مع ذلك يشعر الداعى بأنه وجد عنده كل الراحة ، وكان رضى الله عنه لا
 يطيل الإقامة فى أية زيارة ، إذ كانت لا تزيد عادة عن ليلة ، وكثيرا ما كانت تكون لساعات
 من

الليل وقد صحبته مرة في زيارة لأدكو قمنا لها من الاسكندرية عصرا وعدنا بعد منتصف الليل مع بعد المسافة إذ تبلغ نحو ستين كيلومترا ، وكذلك زرنا رشيد وأبا المطامير وهما أبعد من أدكو ، وعدنا في نفس الليلة (نحو سبعين أو ثمانين كيلو مترا) .

وكان رضى الله عنه يحب صدقة السر ويدعوا إليها ، وكان في بعض الأحيان عند زيارة مشهد من مشاهد آل البيت يشتري السكر ويتصدق به على الصبيان الصغار ، وسألته مرة في ذلك فقال لى مبتسما : إن الله تعالى يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأنا أحب السكر ، وأعجب من هذا أنه كان يوصى بعض الإخوان بشراء بعض السكر والتصدق به عنه فى مثل هذه الزيارات .

وكان رضى الله عنه جميل الفكاهة ، لا يخرجها جمالها عن كماله ولا عن وقاره ، وأنظر على سبيل المثال أنى صحبته

مرة لأدكو وصحبنا أحد الأصدقاء الأفاضل وهو زميل الأستاذ محمد الحلو ، وكان الداعي لنا اسمه الشيخ سعد أبو حلو - وكان من أفاضل الصالحين عليه رحمة الله - فلما أخذنا مجلسنا بمنزل الداعي والتف حولنا كثير من الإخوان أخذ يعرفهم بنا فبدأ بصديقي فقال حضرته محمد أفندى الحلو ، وحضرته الشيخ سعد أبو حلو ، وأنا الحلواني ، فضحك الجميع لهذه الفكاهة الطريفة .

ودعوته مرة رضى الله عنه مع نفر من إخوانى إلى طعام ، وكان فيه خبز رقيق من صنع الصعيد ، فتعجب بعض من لم ير هذا الصنف من رقتة ، وقالوا لسيدى الأستاذ كيف يخبز مثل هذا الصنف بهذه الرقة ؟ فنظر إلى رضى الله عنه وابتسم وقال :

يسأل عن خبزنا كيف رَقَّ كَرَقَةَ دَمَعِ الْمَشُوقِ الدَّمَعِ

فقلت حلال وقد قيل قَدِّمًا يَرِقُّ الْحَلَالُ وَلَا يَنْقَطِعُ

فاستعدته رضى الله عنه فأعادهما وعمنا السرور ، واستبشرت

بهذه البشرية ، ثم أخبرنا رضى الله عنه أن البيتين من شعر والده وأنه قالها فى مناسبة كتلك المناسبة .

كما أذكر أيضا أن طبيبا عاده فى مرض شديد ووصف له دواء كان نادر الوجود بسبب ظروف الحرب فخرجت وأخى الصالح السيد حسين محمود مدير عام التركات بمصلحة الضرائب سابقا للبحث عنه ، فعثرنا عليه بسهولة فعدت به مسرعا وكان فيه بإذن الله الشفاء ، وما كدنا ندخل عليه بعدها معا حتى ابتسم وقال :

يا جزى الله صاحبي جميلا صححا لى نصحا به صح حالى

قربالى وصفا به قر بالى وصفا ذاك الذى وصفالى

والبيتان لوالده أيضا رضى الله عنهما .

وكان رضى الله عنه حلما ، قليل الغضب جدا ، وإذا غضب فلا يغضب إلا لله ، ولذلك وصفه عالمنا المبارك فضيلة سيدى الشيخ على عقل بأنه قريب الرضا بعيد الغضب .

وكان رضى الله عنه يحب الصالحين جميعا ، ولا يتعصب لأهل طريقة دون غيرها ، وكان يكره أن يتعادي أهل الطرق المختلفة ، ولذلك كان يسعى دائما إلى تصفية الجو بينهم ويذكرون ذلك له بالفضل والتقدير والإعجاب .

وإلى القارئ مثلا من ذلك ما كتبه فى التعزية السيد الصالح على أفندى أحمد أبو النظر نائب مشيخة الطرق الصوفية بالإسكندرية عندما علم بوفاة :
" حضرة الأستاذ الفاضل الحاج عبد المنعم أفندى :

قرأت فى المقطم أمس نعى المغفور له والدكم الراحل الكريم فحزنت أشد الحزن وأسفت الأسف العظيم ، فقد كان رحمه الله رحمة واسعة ، وأفسح له جنات النعيم ، الأخ الشقيق الرحيم ، والصديق الوفى الحميم ، والمحسن الصادق الأمين ، والناصح الفذ المبين . وكانت له اليد الطولى فى الإصلاح والتوفيق بين الطرق الصوفية وبخاصة الطريقة الخليلية البيومية ، فقد بذل

فى هذا الميدان الدينى الفسيح من عظيم الجهود ومحمودها ما يستحق عليه أجمل الثناء والمديح ، وكان على جانب كبير من عزة النفس وإبائها ، وكرم الخلاق وسموها ، وكان مؤئل البائسين وملاذ المحتاجين ، ومورد الإخوان الصوفية ، وقدوة الصالحين من رجالات عهده وزمانه ، تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته ، وألهمكم وإخوتكم وأسرتكم الكريمة جمعاء جميل الصبر والسلوان إنا لله و'نا إليه راجعون "

المخلص

على أحمد أبو النظر

١٩٤١/١٠/٢٨

وكان يحب أن يلتزم المرید مشربه من أستاذة مع المحبة والمحافظة على الآداب الإسلامية مع الجميع ، وأذكر أنه مدح لى شيوخا من أهل الفضل فى الدين من أئمة الطرق الأخرى بل وأمرنى أن أزور بعضهم . فقد امرنى أن أزور سيدى القطب الشيخ عبد الخالق الشبراوى إمام الطريق الخلوتية الشبراوية

وقال لى عنه : إنه من أولياء الله ، وكان سيدي الشيخ عبد الخالق رضى الله عنه إذا لقيته يدعوا لسيدي الشيخ عبد السلام رضى الله عنه . كما أن أستاذى رضى الله عنه طلب منى مرة أن أسأل الصديق النقشبندى فضيلة الشيخ أحمد مهدي (شيخ المسجد الحنفى) أن يدعوا لأستاذى بحفظ الإيمان كلما قابلته وقال لى عنه : إن الشيخ أحمد مأخوذ فى الله ، فكان سيدي الشيخ أحمد يقول : أسأل الله أن يحفظ عليه وعلينا الإيمان .

وفى هذه المناسبة أذكر ما رواه لى رضى الله عنه من أن بعض الصالحين كان يلقاه ويسأله الدعاء ، فكان يدعوا له سيدي الأستاذ قائلًا : الله يقوى إيمانك ، فيرد ذلك الصالح قائلًا : ويحفظه كمان ياسيدي ، كما ذكر أن بعض المجذوبين فى الله قابل سيدي الأستاذ من غير معرفة سابقة فقال لسيدي متفكها معه : أيه يعنى ياسيدي إمام ناس ، كما أن مجذوبا آخر رأى سيدي فى مجلس الذكر بمولد سيدي إبراهيم الدسوقي رضى الله

عنه فشده من صفوف الحلقة وأوقفه فى وسط المجلس ليديره ، ولا يخفى أن أهل المعرفة يرون بنور بصائرهم مالا نراه نحن بنور الأبصار .

وقال لى مرة رضى الله عنه : لقد سمعت النداء من جوفى ينادى بلفظ الجلالة ، وقال لى مرة أخرى : مر بى حال كنت ألقى الشخص فيقذف الله لى فى روعى اسمه وأسم أبيه وأسم أمه وأرى بيته رأى العين كشفا فسألت ربه أن يحجب ذلك عنى حتى لا يدخلنى الغرور أو يشغلنى شئ عن الله تعالى .

وقد زرتة مرة وأنا فى غاية الأناج والسرور فسلمت عليه ثم جلست أمامه فبدأ يداخلنى خوف واضطراب ، واشتد على حتى أهتزت أعصابى ، وظننت أن مرضا يداخلنى ، وشق الأمر على ، وبعد نحو ريع ساعة قال لى رضى الله عنه : أتعلم فيما كنت أفكر قلت : لا يا سيدى ، قال : أنى أتذكر الآخرة وشدها ، والنار ولهيبها ، وشهيقها وزفيرها ، فيملؤنى الخوف ، فقلت ياسيدى

لقد سرى إلى خوفك حتى كدت أسقط على الأرض ، فانظر كيف كان ينفذ بروحه فى أرواحنا ، وكيف كان يعظنا بحاله قبل أن يعظنا بمقاله .

ودخلت عليه مرة رضى الله عنه قبيل الأصيل فوجدته نائما على سريره ويغمر وجهه نور وضاء ، فنظر إلى وقال : إذا كان الواحد يرى الحق جل وعلا بلا كيف ولا حصر ، وكأنه نور فى نور ويقول : أنا أغفر لعبدى ولا أبالى ، ثم استطرد رضى الله عنه قائلا : وصحيحها يبالى من مين . فهزتنى كلمته هذه بشدة وعلمت أنه أستيقظ بعد الرؤيا وهى تشير إلى قرب أنتقاله رضى الله عنه وهو ما كان .

أسلوبه ورسائله :

كان أسلوب سيدى الأستاذ فى الكتابة من السهل الممتنع ، لا عن تكلف ، ولكن عن سجية وإلهام ربانى ، حتى إنك لتجد لكلامه على سهولته رنة فى قلبك كما ترى من النماذج

الآتية . ولعلك تعجب إذ علمت مما تقدم أنه لم يتم تعليمه لوفاة والده ، ولكن لا تعجب فأمثال سيدى ميسرون لما خلقوا له من الدعوة والأرشاد إلى الله ، ولا ترى لسيدى رسالة خالية من نصح جميل فى كلمات رقيقة تنم عن إتصال بالله ورسوله ، والله يؤتى فضله من يشاء .

وانى ناقل إليك رسائله التى تفضل فبعث بها إلى ، وهى محفوظة عندى على الدوام أعتز بها وأحرص عليها ، وتدعونى الأمانة إلى نقل نصوصها كاملة وإن بدا فيها أمتداحى ، فقد قدمت لك أنى كنت محل عطفه عن فضل منه لا منى .

وسأتبع الرسائل ببعض كلام له فى الروح والنفس وهى مكتوبة بخط يده ومحفوظة عندى ، وكذلك ببعض مختارات من رسائل عديدة بعث بها من القاهرة سيدى الشيخ عبد السلام إلى تلميذه المخلص الوفى المغفور له الحبيب السيد سالم جمعه وكان يقيم بالإسكندارية .

أولا الرسائل :

١ - رساله من الإسكندارية بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولى الحميد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الشهيد ، وعلى آله وصحبه أهل الرأى السديد ، ورضى الله عن شيخنا أبى خليل ونجله وعترته ومن تبعهم إلى يوم الوعيد .

وبعد ، فقد دنا الوقت ولا محيص عنه ، وستبلى بشاهدين ، ويقضى الله أمرا كان مفعولا ، وخذ لك موعظة حسنة من الأولى ويكفيك فى الثانية (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم) وتقلب فى الذاكرين ، وكن معهم ذاكرا شاكرا ، ولا يهملك أمر الدنيا فإن السعة هى الرضا (وقل ربي زدنى علما) وانهج منهج

أهل اليقين ، فسيكون لك شأن كبير ، وتستفيد فى الصحة إذا ذهبت ، فاستفد بالتقوى إذا أقمت ، ولك رؤية من بعد رؤيا ، ولك حجة من بعد عدد معلوم ، وقد يكون بعيدا وتراه قريبا والبعيد قريب ، والله مجيب ، وسلامة الأمر فى عدم الجهر (ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) فكن مطمئنا بلا طلب الرؤيا التى طلبها سيدنا إبراهيم وإن كنا لا نساوى فى جانبه شيئا من التمثيل به ، ولكن ربك رب الكون الذى خلقه ودبره ، وقام بأسبابه من غير سبب ولا إلزام ، فإذا فزت وقرت عينك فاشكر الله ، والصبر أولى ، ولا تذهب نفسك عليهم فإنك إنما تنتظر نفاذ القضاء ، وما قضاه لك خير كثير ورزق كبير ونعمة وافية وقلب راض . (والله يرزق من يشاء بغير حساب) والوالدان الوالدان قضى ربك بما لا ينبغى

أن أذكرك به ، ولا بد من الوفاء والصفاء ، ويعود العود رطبا ، والحب لله أكبر من كل أمر ، وهو الولي الحميد .

يا حسن أنت حسن وحسن ، وقد روى بسند حسن عن الحسن البصرى عن الحسن السبط عن أبى الحسن على ابن أبى طالب (أن أحسن الحسن الخلق الحسن) ويكفيك فى خلقك أنك أحسن الحسن ، فكن مسرورا دائما ، وإن لم تجده فاخلقه فى نفسك لتفوز ، وكن مع أهل الحقيقة وابحث عنهم بحث الباحث عن حق يرجع إليه لنفسه فقط .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

عبد السلام الحلوانى

١٩٣٠/٧/٢٨

وهذه الرسالة كما ترى جمعت بين تبشير وتذكير وتوجيه وفكاهة ، وقد تيسر لى الحج الذى بشرنى به فيها على غير ترتيب أو انتظار ، وذلك فى سنة ١٩٣٤ ، وهكذا تحقق قوله رضى الله عنه (وقد يكون بعيدا وتراه قريب) .

٢ - رسالة من الإسكندارية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى الكامل حسن بك كامل ، أدامه الله وأبقاه ومتعته بالصحة والهناء .
إن بقاء بنعمة الأخلص إليك إنسان ، فقد يكون هذا الضعيف الذى يضرع إلى الخالق البارئ
أن يهبنا الأخلص الكامل والقرب الشامل ، وأن يمتعك بالصحة والعافية والهناء وأن يصلح
لنا ولكم الوقت وحسن الحال ، وقد آلمنى ألمك الذى رافقك فى سفرك ، شفاك الله وعافاك ،
واحترس من هواء الخريف ، فإنه لطيف ، ولا يخاف إلا من اللطيف كما قال بعض الحكماء :

أحذر أخى هوى الخريف فإنه

مستعذب مستلطف خطاف

يجرى من الأجسام مجرى عروقتها

بلطافة ومن اللطيف يخاف

هذا وإن أشكرك على تفضلك بالتحريم ، فقد يقال الشكر فاعتبر غير ما هو واجب ، إذ واجبنا
أعتبار السؤال من واجبات الأسرة ، وأنت منا ونحن منك فلا شكر على واجب ، وإنما غابتنا
الإطمئنان عليك ، وعليك السؤال عنا .

أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيهما ، وفيها ما فيها ، لأنك
إن دبرت وصح التدبير ، وهو المطلوب شرعا فلا تدري كيف قضى فيه ، فإن صح القضاء
بالرضا فهو القضاء ، وإن حصل الجفاء سألناه اللطف فى القضاء مع الرضاء على أنه
الرضاء ، ولا تخف فالرضاء حاصل وأنت كامل والحقوق لأربابها والزمان له دورته .
وسيتم لك ما تريد ما دمت مع الله وقضى ربك . وأنت ذو مزاج ظريف فحافظ عليه فإننا نريد
لك الأانس والسرور .

ويدوم إن شاء الله وتأنس ويؤنس بك ويتم لك الصفاء والوفاء وأرجوا أن تتقبل سلامى
وتحياتى الخالصة من القلب والروح وسلامى للسيد الوالد والأخوة المخلصين ، أدامكم الله وأرانا
وجهك قريباً فى خير وسرور .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

فأنت ترى فى هذه الرسالة مبلغ عطفه الأبوى وبراعة التوجيه إلى الله فى التورية الواردة فى
قوله " ولا يخاف إلا من اللطيف " وجمال التواضع بين أستاذ وتلميذه . أما النصيحة التى ختم
بها الرسالة فهى تنطق بجمال الحكمة المودعة فيه ، ولقد ذكرتها لأحد كبار العلماء فى حديث
لى معه عن حكم الصوفية ، فأخذته نشوة غريبة وقال : أعد على كلام أستاذك العظيم ،
ففعلت ، فما كان منه إلا وأخرج ورقة من جيبه وقال : أمل على وكتب فعلا هذه الدرر الغوالى

٣ - رسالة من الإسكندرية فى ٥ يناير ١٩٣١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى المحترم حسن أفندى كامل ، أدامه الله : تحية وسلاما وأشواقا كثيرا وكثيرا .
وبعد : فقد ورد خطابكم الذى لم يزدنى شيئا على ما أتحققه من شمائلكم الكاملة ، وذلك
الأخلاص الصادق ، وتلك الروح الطيبة النقية الطاهرة ، وإنما زودنى من نوره المشرق بما
أملته تلك الروح ، وذلك القلب الممتلئ إيمانا و يقينا - شوقا إلى رؤيتكم فأننى كنت أتمنى أن
أحظى بمجلسكم كثيرا كثيرا ، لأمتع الروح بتلك الوجوه الساطعة من إشراق قلوبها بنور المحبة
واليقين ، ولكن هى الظروف ، وهى التى تجرى بالقدر . والله بديع السموات والأرض هو
المقدر . وقد رضينا بما يجرى به القضاء . أسأل الله أن يرينا وجهك فى أسر الأوقات وأسعد
الحالات .

أما هذه المسألة التي أخبرتموني بها فلها ظروفها . والله هو المدبر . فليس لنا فى الأمر من شئ . إنما هى آمال . ولو أطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع . واختيار الله لنا خير مما نختاره إنما هى أسباب يدفع الله فى قلوبنا طلب اتخاذها لينفذ أمره :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده

وليس عليه أن تتم المطالب

هذا وسلامى إلى للأشقاء . والأخوان المخلصين خصوصا حسن أفندى محرم والشيخ محروس وتقبل تحياتى وسلامى وسلام إخوانى خصوصا الشيخ على عقل الذى كان عندنا بالأمس ويسافر اليوم . أدامكم الله ومتعكم بالصحة والهناء والسرور . وكل عام وحضرتكم بخير . وسلامى الخاص مع الشوق الوافر لحضرة السيد الوالد .

المخلص

عبد السلام الجلوانى

١٥ شعبان ١٣٤٩

ولا يخفى عليك ما فى هذه الرسالة من توجيه للتفويض المطلق لله ، مع الأخذ فى الأسباب الظاهرة . ثم انظر إليه وهو يخبر عن تلاميذه " بإخوانى " .

٤ - رسالة من الإسكندارية فى ٩ نوفمبر ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز القلب والروح حبيبي حسن أفندى كامل .

حرسه الله وأمده بمعونته .

أهلا وسهلا بكتابك القيم الذى أزال وحشة البعد خصوصا إنى لم أحظ هذا الأسبوع بلقائكم .

وقد أصبح القلب يحن إلى اللقاء دائما لتتمتع الأرواح بلقاء الأشباح ، وإن كانت مجتمعة .

فله درك ودر كتابك هذا ، وأسأل الله أن يمنحك التقوى الثابتة والقوة وسعادة الدارين .

أهديك تحياتى القلبية وسلام الإخوان جميعا خصوصا الشيخ على عقل فإنه عندنا الآن .

وأرجوا أبلاغ سلامى وشوقى

لحضرة السيد الوالد . وله جزيل الشكر الوافر على تكلفة هذا السعى جزاة الله خيرا . ثم سلامى
للإخوة الكرام . ثم لجميع الإخوان خصوصا الشيخ محروس حبيب الطرفين .
وتقبل تحياتى وعاطر تسليماتى وشكرى الخالص ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

١٩٣٠/١١/٩

٥ - رسالة من الإسكندرية فى ٢٩ يوليو ١٩٣١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ولدنا العزيز الفاضل حسن أفندى كامل .

أما الشوق فكثير جدا . وذكره لمن له قلب يشعر من باب تحصيل الحاصل . فتقبل سلاما من

قلب تحن روحه إليكم فتهديكم تحيات تليق بروحك الطاهرة الطيبة .

وصلنى خطابكم وأعتذر عن تأخير الرد فإنى متأخر كما تعلمون . ولكنى تعودت السماح ، أما

رحلتكم المباركة

فقد سرتنى جدا ، وأما الأذن فليدكم من زمن وإذا أردته رسميا فانتظروا حتى أحضر وأطلب لكم أجازة رسمية من المشيخة . وإنى أسأل الله لكم ولنا التوفيق والرضا . وأن يجعل وجهتنا إليه . وأن يفتح لنا طريق الخير ، وأن يمدنا بنور من نور نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى نسلك سبيله القويم . وأن يجعل فرحنا به خير ما نلقاه به يوم القيامة . إنه سميع الدعاء .

أما حسن أفندى محرم فأبلغه تحياتى وأشواقي . وقد بلغنى أنه كان بالإسكندرية فلماذا لم يقابلنى ؟ إذا كان لعذر فمقبول ، وإن كان لذنوب منى فأستغفر الله وعليه السماح ، وعلى كل فإنه حسن وفعله حسن . ولا يؤاخذنى فى هذا الإختصار . والمهم أن تتقبل تحياتى وأن تعلم أن مسكنك القلب ، فلا تنسى من الدعاء كما لا أنساك .

وسلامى للسيد الوالد والإخوة والإخوان والمحبين ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

٢٩ يوليو سنة ١٩٣١

ورقة شمائل سيدى الأستاذ تتحلى فى تلك الرسالة ، فهو يعتب على بعض الاخوان ويلتمس لهم العذر فى الوقت ذاته ثم يختم بمدحه . ولا أكتمك أنى ما فرحت بشئ كفرحى بقول سيدى " ولدنا فلان " . وما أعزها من أبوة ولله در القائل

أقدم أستاذى على حق والدى

وإن نالنى من والدى العز والشرف

فهذا مربى الروح والروح جوهر

وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف

٦ - رسالة من الإسكندرية فى ٢٥ أكتوبر ١٩٣١ .

حضرة عزيزى المحترم حسن أفندى كامل . أدامه الله وأحياه حياة سائغة هنية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إن قلت لكم أنا مشتاق والشوق شديد فليس هذا ما تقاسيه

الروح من ألم ذاك

الشوق . وإنما أترك الأرواح تتناجى ولها الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى يعلم السر وأخفى .
ثم لا تظن أن تأخيري عن الرد جاء عن قصد ، كلا وربك إنما هو عذر منع الكتابة فقط ولم
يمنع الروح عن اتصالها بكم ، أو على الأقل تضرعها إلى الله تعالى أن يرضيكم عن هذا
التأخير ، وأن يجزيكم عنا أحسن الجزاء .

أما عن تخييركم الأقامة فى حى السيدة زينب ، فإنها نعمت الخيرة ونعمة الجيرة ، وهل تكون
جيرة أحسن من تلك الجيرة جيرة أهل البيت ؟ ولك حق الجوار : الرحمة والبركة واستدرار
الرحمة من الرحمن الرحيم الذى يكرم آل البيت ويكرم من يجاورهم ، ومن جاور السعيد يسعد
، فنعم ما فعلت .

هذا وأرجوا إبلاغ سلامى للأشقاء الأعمام ، ثم لحضرة محمود أفندى صاحب الأجزخانة ، ثم
للإخوان الأعمام ، خصوصا حضرة على أفندى السيد وحسن أفندى محرم ، ولعله مع

مواصلة المذاكرة لا يترك زيارتكم وزيارة الإخوان وزيارة آل البيت على الخصوص ، فتح الله علينا وعليه ، وزودنا جميعا بزيادة التقوى ، ورزقنا وإياكم البركة فى الوقت ، والزيادة فى الدين ، وبسطة فى العلم والجسم .

ثم السلام لصاحب الروح الطيبة العالية إبراهيم أفندى زكى ، وبينى وبينه بينة على أمر تبين له فبان ، وبان له وسطح الحق وانتصر (والله يؤيد بنصره من يشاء) ، ثم السلام لجميع الإخوان فردا فردا فلا يؤاخذوننى فى الإجمال فإن لى معذرة الآن والقلوب أكبر برهان . والسلام عليكم ورحمة الله ، وسلامى الخاص لحضرة السيد الوالد ، ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

والرسالة كما تراها تفصح عن سمو الأدب وجمال التأديب .

٧ - رسالة من الإسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز الروح الأديب الفاضل حسن أفندى كامل ، حفظ الله مهجته وأدام عليه محبته ومنحه رحمته . إن استعراض النفوس يحير الألباب ، ويفتح باب وراءه ألف حجاب ، لا يعلم ما وراءه إلا واهب الألباب طريق الصواب ، فإن كشف الحجاب لبعض الأحباب رأى تدبير القادر الحكيم وقال : لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فإن أنا أبصرت فلا أبصر إلا من ضوء روحك الطاهرة الطيبة التى ينعكس نورها على قلبى الكثيف فىرى قلبك التقى السليم فيحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك الإخلاص الذى يدين به قلبى فيدعوا الله سبحانه أن يديم عليكم نعمته ، وأن يرزقكم الحسنى وزيادة ، وأن يجعلنا جميعا من عباده

المخلصين ، الذين لا يرون سواه . فتقبل سلامى وشوقى وأبلغ تحيات روحى لساداتى الإخوان الأعزاء خصوصا سيدى على أفندى السيد ثم الأشقاء ، ثم لحضرة رقيق العاطفة الكريم الأصل إبراهيم أفندى زكى ثم لأخيك حسن أفندى محرم . وإن صبرى عليه صبر من ينتظر له النجاح والفلاح وقل له القوة فى الختام والنجاح بالخاتمة والسلامة فى الإسلام ونوال المقصود بالركون إلى الكريم الرحيم العليم العلام وإن زاد ترك العباد واشتغل بنفسه وعمله مع الله ولازم من لازمه على ذلك فالله بصير بعباده . ثم لا تنس أبلغ السلام لكل شخص بمفرده وأنت جدير بالتخصيص فقد أجملت أنا أرتكانا على قيامك بذلك ، فلا يعتب عاتب ولا يغيب غائب وليس عندى بغائب . وتقبل أنت تحياتى وأخلاصى وشكرى على مولاتك بالتحريم والله يجزيك عنى أحسن الجزاء ، وسلامى للسيد الوالد ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

وهذه الرسالة هي مسك الختام فى رسائله التى أحفظها وأعتز بها ، وانظر إليه فيها هو يهضم نفسه ويتهمها وهو من الله بمكان عظيم ، فليكن لنا به أسوة ، وما أحسنها من أسوة ! وقد شاء الله تعالى بغير تدبير منى أن أكتب سلسلة شهرية من مقالات " الصوفية فى إلهامهم " فى مجلة منبر الإسلام الغراء حيث طلبت إلى المجلة أن أنشر فيها ما أريد من مقالات ، فألهمنى الله تعالى نشر تلك السلسلة وتضمينها حكم سيدى الشيخ عبد السلام النثرية وحكم الشيخ على عقل الشعرية لينتفع بها القراء فى العالم الإسلامى كله ويجرى ثواب أرشادهما عليهما وهما فى جوار الله . ويكون لى ثواب الوفاء لشيوخى الأجلاء وثواب مناولة الحكم البالغة التى أخذتها عنهم رضى الله عنهم أجمعين . وهى سلسلة طويلة بدأت منذ ثمانية أعوام وربما أمتدت عاما تاسعا ، ولقد لقيت ترحيبا حارا فى المشارق والمغرب وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس .

ثانيا : من كلامه رضى الله عنه فى الروح وتدرجها فى الترقى :

الروح إذ سبحت نظرت ، فإن نظرت ذكرت ، فإذا ذكرت بدأت ، فإذا بدأت دأبت ،
 فإذا دأبت عرفت ، فإذا عرفت شربت ، فإذا شربت شكرت ، فإذا شكرت سكرت ، فإذا سكرت
 طربت ، فإذا طربت طارت ، فإذا طارت سارت ، فإذا سارت باحت فإذا باحت فاحت^١ ،

^١ - الروح إذا سبحت أى تفكرت ، نظرت فى قول الله (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) فإن نظرت ذكرت الصانع ، فإذا ذكرت أسماء بدأت فى ذكرها ، فإذا بدأت دأبت على الذكر فإن دأبت عرفت حلاوة الذكر ، فإن عرفت شربت من مشارب الذاكرين ، فإن شربت شكرت مولاهما على الهداية ، فإن شكرت سكرت من لذة الذكر ، فإن سكرت طربت من لذة الأحوال ، فإن طربت طارت وجدانا ، فإن طارت سارت فى السبيل السوى ، فإن سارت باحت بما يعتريها ، فإن باحت فاحت من رانحتها .

فإن فاحت ناحت ، فإن ناحت راحت ، فإن راحت فاءت ، فإن فاءت باءت ، فإن باءت تابت ،
 فإن تابت طابيت ، فإن طابيت غابت ، فإن غابت فطنت ، فإن فطنت عادت ، فإن عادت طلبت
 ، فإن طلبت درست ، فإن درست علمت ، فإن علمت وقفت ، فإن وقفت شخصت ، فإن
 شخصت خافت ، فإن خافت اطمأنت ، فإن أطمأنت لامت ، فإن لامت رجعت ، فإن رجعت
 رضيت ، فإن رضيت فازت^٢ ،

^٢ - فإن فاحت ناحت على ما فرط منها ، فإن ناحت راحت تتخبط ، فإن راحت فاءت لا تدرى ، فإن فاءت باءت إلى أمر الله ، فإن باءت
 تابت بنعم الله ، فإن تابت طابيت من الذنوب ، فإن طابيت غابت في سبيل الإستقامة ، فإن غابت فطنت لا تميل لغير الله فإن فطنت عادت
 لمعرفة الصواب ، فإن عادت طلبت من الله المعونة ، فإن طلبت درست العلم ، فإن درست علمت حتى تصدر عن الحق ، فإن علمت
 وقفت للحدود ، فإن وقفت شخصت إلى الله بالحق ، فإن شخصت خافت منه سبحانه ، فإن خافت اطمأنت (يا أيها النفس المطمئنة)
 فإن اطمأنت لامت نفسها على الماضى وخافت الرجوع إليه ، فإن لامت رجعت إلى ربها بثبات وصدق ، فإن رجعت رضيت راضية
 بربها ، فإن رضيت فازت مرضية .

فإن فازت دخلت ، فإن دخلت درجت ، فإن درجت عادت ، فإن عبت استقرت . و (الجنة هي المأوى) (ولمن خاف مقام ربه جنتان)^٣ .

ثالثاً ي: من كلامه رضى الله عنه فى النفس وتراجعها

النفس إذا سبحت عميت ، فإن عميت غفلت ، فإذا غفلت شردت ، فإن شردت بدأت ، فإن بدأت دأبت ، فإن دأبت نأت ، فإن نأت شربت ، فإن شربت سكرت ، فإن سكرت طربت ، فإن طربت طارت ، فإن طارت سارت ، فإن سارت فاحت ، فإن فاحت ناحت فإن ناحت شكت ،^٤

^٣ - فإن فازت دخلت فى عبادة الله ، فإن دخلت درجت فى العبادة فإن درجت عبت عبادة حقّة ، فإن عبت استقرت الروح فى الجنة و (الجنة هي المأوى) . . ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

^٤ - النفس إذا سبحت فى الدنيا عميت عن الآخرة ، فأت عميت غفلت عن ذكر الله ، فإن غفلت شردت عن الحق ، فإن شردت بدأت فى الشر وطلب الدنيا ، فإن بدأت دأبت زادت فى الطلب ، فإن دأبت نأت عن الخير ، فإن نأت شربت من شرب الهالكين ، فإن شربت سكرت بحب الدنيا ، فإن سكرت طربت باللهو ، فإن طارت طارت إلى المهاوى ، فإن طارت سارت إلى حيث لا يعلم مصيرها ، فإن سارت فاحت أعمالها ، فإن فاحت ناحت من الخسران ، فإن ناحت شكت مما حل بها .

فإن شكت أوبقت ، فإن أوبقت باءت ، فإن باءت شطحت ، فإن شطحت نطحت ، فإن نطحت جرحت ، فإن جرحت أدمت ، فإن أدمت قتلت ، فإن قتلت أجمت ، فإن أجمت طغت ، فإن طغت بغت ، فإن بغت آثرت ، فإن آثرت هزمت ، فإن هزمت صاحت ، فإن صاحت راحت ، فإن راحت وقعت ، فإن وقعت فظنت ، فإن فظنت ندمت ، (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى) ° .

رابعاً : رسائل غيرى

وممن حفظوا رسائله باهتمام أحد الآخذين عليه وهو حبيب قلبى

° - فإن شكت أوبقت غيرها ، فإن أوبقت باءت بالخسران ، فإن باءت شطحت تخبطت ، فإن تخبطت نطحت لعدم أهدانها ، فإن جرحت أدمت النفوس ، فإن أدمت قتلت غيرها ، فإن قتلت أجمت ، فإن أجمت طغت ، فإن طغت بغت وان بغت آثرت الحياة الدنيا ، فإن آثرت هزمت بعثت عنها العافية ، فإن هزمت صاحت من خسران العافية ، فإن صاحت راحت تلقى حتفها ، فإن راحت وقعت فى الحساب ، فإن وقعت فظنت النفس إلى ظلمها ، فإن فظنت ندمت حيث لا ينفع الندم ، (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى) .

وروحى المغفور له الحسيب النسيب والتقى الورع سالم " بك " عمر جمعه من أعيان الإسكندرية ، وقد كانت تربطه بأستاذى أوامر الود المتين والحب المكين ، وقد تفضل وأعطانى ملف هذه المكاتبات التى تنوف على المائة لأختار منها بعض الإرشادات والعظات والحكم البالغات لينتفع بها من اطلع عليها من المؤمنين وقد اخترت بعضها فى هذا الكتيب وتناولت فى سلسلة " الصوفية فى إلهامهم " بقيتها . وقد تفضل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فأصدر الآن جزئين من كتاب " الصوفية فى إلهامهم " ولعله ينشر الجزء الثالث بعد عام ، فمن أراد الاطلاع على تلك الحكم الرائعة فليقتن ذلك الكتاب وقد شرحتها شرحا وافيا بتوفيق الله وعونه .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سيدى الأخ العزيز سالم بك حفظ الله مهجته وأدام بهجته . تحيتى لروحك أكبر من تحيتى لأشباحك ، تحية الجسم تحية ظاهرة ، أما تحية الروح فتحية باطنة ، تشعر بها الأرواح

ولا يعلمها إلا بارئ الأرواح التي من جنسها ، والتي شربت من مشربها ، تجدها وإن تفرقت مساكنها في الدنيا ، فإنها أسراب ظاهرة في عالمها في الحياة ويوم القيامة ، وتعرف ربها ولا تعرف سواه ، وهناك أرواح تتعلق بأرواح الصالحين ، وتتهافت على أعمالهم ، ولكنها سابعة في أعمال الدنيا ، مخلدة للمحبين ، وهذه درجة ثانية تكون مقبولة ، تتبع يوم القيامة سربا من أسراب الشفعاء ، وربما تختار في أى الجهات تتبع ، وأكبر ناج من اتبع المصطفى صلى الله عليه وسلم فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أتباعه ، مع من عرفنا به وبجبه ، وجمعنا عليه وعلى حبه ، فإنى أرسلت إليك تحياتى ، فإنما أرسلها بحب الروح الخالصة لوجهه ، وأرجوا من الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل مقام محبتى مساويا لمحبتك له حتى تشعر روحك بإخلاصى لك ، راغبة فى أن تعمل عمل المحبين لله الذين لا يلجأون إلا إليه سبحانه وتعالى ، فأنا إن شكرتك

على تلك العقيدة السليمة الصادرة من قلب محب لله ، يظن فينا خيرا ، إنما أشكر الله سبحانه على نعمته على بإخلاصى لكم ، حتى قذف فى قلوبكم من محبتكم له شعوركم بهذا الإخلاص ، الذى نسأله سبحانه وتعالى أن يديمه مستمرا إلى يوم القيامة لوجهه العزيز ، وأن يجعل شفيعنا يوم القيامة هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى من تمسك به وبشريعته نجا ، إنه كريم ، فهل تقبل هذه التحية ؟ وتتقبل تحيات آلى وأنجالى وأصهارى والمحبين وتسمح أن تبلغ الآل والأنجال تحياتى ؟ أظنك لا تبخل بهذا مع تبليغ السلام لحضرة الأستاذ الشيخ أحمد غلبون والشيخ عبد الحميد والشيخ على والحاج فهيم فهم منى ومن المحبين ، والسلام عليكم ورحمة الله خالصا مخلصا ، أيدكم الله بنصره ، وزادكم من نعمه ، ورزقكم الهناء والاطمئنان بنجاح الأنجال مع سلامى للدكتور عبد السلام حفظه الله .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

١٩٣٩/٥/١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أخی العزیز المفضل سالم بك جمعه .

تحية وسلاما وشوقا ، وبعد فسبق أن كتبت لحضرتكم خطابا وأنا متعب عقب دوخة حصلت لي ، ولم أتمكن من أداء الواجب نحوكم ولكن لا تؤاخذني فإن صحتي هذين اليومين على غير ما نبغى فعذرا ، وأسأل الله لكم الهناء والاطمئنان ، وبلغني أنكم نقلتم في ضواحي البرية خوفا من الغارات فأسأل الله لكم راحة البال وتحسين الأحوال ، وإنما نحن لازلنا ننتظر حضوركم للتمتع برؤياكم والاطمئنان عليكم ، أم أنا فمتوكل على الله وهو المسلم .

اللهم إني أسألك الثبات على الإيمان حتى يكون قلبي في أمان ، اللهم املاه حبا فيك حتى يكون راضيا بقضائك موقنا بأنه لا حركة ولا سكون إلا بأمرك وقدرك سبحانه لا شريك لك ، لك الأمر من قبل ومن بعد . اللهم إني أسألك بحبيبك

المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تبتث الإيمان فى قلبى بثا فتجعله فى أعضائى وأحشائى وفؤادى وروحى منبثا . اللهم جنبنى الهموم وادفع عنى جيش الشيطان فلا تجعل له على سبيلا ، اللهم لا تجعل قلبى له هدفا حتى يتسلط عليه بمعداته ومصوباته ، فإنى ضعيف لا أتحمل القصاص فيصوب الرصاص فإنى مؤمن بأن المعاصى تزيل النعم ، وأنعم على بشرك على نعمك خصوصا نعمة الإيمان فإنى موقن بأنك سريع النقم لمن لم يشكر نعمتك ويرعاها بترك المعاصى ، فلا تجعل للشيطان على سبيلا . واجعل قلبى شديد الإيمان بك فلا يعبأ بحرب الشيطان ومعداته ، ولا بندقياته ولا رصاصاته ، فلا يتعتعه تعتيعه ، ولا يخوفه بعيهه ، ولا طبنجة تزعجه ، ولا مدفع يفجعه ولا يهيمه المفرقات ولا تدهشه المترليوزات ، ولا رشاشة ترشه ولا دبابة تفشه ، لا بارجة ترجه ، ولا لغم يزجة ولا مغناطيس يجذبه ، ولا غواصة تضربه ، ولا نسافة تنسفه ، ولا قاذفة تقذفه ،

ولا طرادة ، تطرده ولا مدمرة تفسده ، ولا غارة تكريه ، ولا صفارة ترعبه ، ولا كامامة تخنقه ،
 ولا غاز يحرقه ، لا طيارة تناوئه ، ولا مظلة تفاجئه ، لا قنبلة تفزعه ولا شظايا تفجعه ، ولا
 طابية تقوى عليه ولا حصن يقوى لديه ، ولا خط من الاستحکامات يعوقه ، ولا رباط من رباط
 الخيل يفوقه ، ولا سيف عليه يصول ويجول ، فقوة الله هي الحصن الحصين ، والركن المكين
 ، وهي القوة والعدة ، وهي الحبل المتين ، فاجعلنا يامولانا بها نتمسك ونفوز ومن جميع
 المصاعب نجوز : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم
 . أسأل الله لي ولكم العافية والثوق بالله وأن يجعلنا وأياكم من المطمئنين به والمتمسكين
 بحبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يهدينا وأياكم سواء السبيل .

١٩٤٠/٦/٢٩

عبد السلام الحلواني

ومما جاء فى هذه الرسائل قوله رضى الله عنه : احضرت جواب أخى السيد / عبد الرؤوف الحلوانى ، لأرى هل يمكننى الرد فوجدته مكتوبا بما جاش فى صدرى أن أكتبه لكم ، ولكنه طويل جدا ، وبدأة بقوله : سلام هو الإخاء المتفجر، من شغاف الأحشاء بالحنان والإخلاص ، وتحيات لا تنبعث إلا من حنايا القلب والتضاعيف الروحية هامية بالعطف ، مؤتزة بالقربى ، وشوق يتوقد من حب قد اضاء على أوتار أرومته ، فكان وتره العازف على قيثارة المشاعر ، فأحدثت نبراته فى القلب حنانا جياشا ، سندسى العناصر ، آسى الأواصر ، فكأنه النور من لألائك إلى آخر ما قال : فقد كتب عنى لك منى ، ولقد فكرت كيف أكتب والقريحة كاسدة ، والفؤاد عاتم ، والقلب مظلم وظالم ، فسرت أستعرض حلقات الحياة ، وما كان فيها من انتباه ، والآن وقد ردى الله إلى

أرزل العمر ، وقد فترت الهمة خصوصا فى الأحوال المهمة ، كرد الجواب بأعز الأحباب ، لكنى طلبت من الله ، بجاه النبى الأواه، رفيع الجاه ، صلى الله عليه وسلم ، وسلم على آله وأصحابه ومن والاه ، أن يكشف غمتى ، ويزيل كربتى ، ولما لم أجد فى ذهنى كلاما ، أمسكت كتابا أمامى ، عسى بالمطالعة أن يفتح الله على ، فإذا به مختار الصحاح وهو لا يصلح لمثلنى المكسر ، لكن على الله الجبر ، افتحه عسى أن تجد فيه شيئا ينفحك ففتحته فوقع نظرى على مادة " مدد " فقلت لنفسى عال ، هذا إرشاد لطلب المدد من الشيخ ومن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الله سبحانه وتعالى ، فمددت يدى عسى أن أجد المادة وهى الزيادة المتصلة ، وفى الحقيقة مد الله فى عمرك وزاد فى نعمتك إن التوفيق فى الذكر والعمل الصالح لا يكون إلا إذا أخلى الإنسان قلبه ، ولو بعد صلاة المغرب ووجه نفسه إلى الحضور فى

حضرة الشيخ ، وأستأذنه فى عمل الآخرة الذى يريده سواء كان ذكرا أو طاعة أو وردا أو قرآنا وطلب منه المدد ثم استأذنه خاشعا واستحضر النبى صلى الله عليه وسلم وطلب منه المدد ثم استأذنه خاشعا فى حضرة الله وطلب منه المدد والأذن فى الوقوف فى حضرته لأداء الطاعة ، ثم يبتدئ بطاعته إلى أن ينتهى ، فيقول : اللهم إن ذكرك لا يمل ، فارحمنى يا الله ، دستورك يا الله ، ثم يلتفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : دستور يا رسول الله ، ثم يلتفت ويقول : دستور يا شيخى ، السلام عليكم ورحمة الله ، فى هذه الحالة يرى أنه حصل له مد ، أى سيل من النهر أو من أنهر ، وشعر بسرور لا يقدر ، وانفتحت له البصيرة ، وصار يرى ببصيرته ، وامتد بصره إلى بعيد ، فأنت رجل مديد

القامة والباع ، سريع الاتباع ، للنبى المطاع ، حفظك الله وجعلك من الأتباع ، فى الدنيا ويوم الأسماع ، وأعطاك عطاء جزيلا فتعطى به مددا ، فتكيل مما أعطاك الله

الله إياه مكيالا ، بل ومكايل مُدًا بعد مد ، إلى أهلك وذويك ومحبيك ، ويدوم ذلك دائما لا مدة من الزمان ، أى برهنة منه ، بل تستمد على الدوام ، كما يستمد القلم من المداد ، ولا يخفأك أن عطاء الله لا ينفد ككلماته التى لا تنفذ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) وأنت إن شاء الله ممدود منه ، خصوصا باتباعك شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسيكون قربك منه قريبا إن شاء الله ، وتراه وتتمتع به ، وتمتد منه حتى تمد غيرك فقد يكون المدد من الله سبحانه وممن أمدهم . فيكون لك ومنك النور والسرور ، وأبعد الله عنا الشرور ، وطهر قلوبنا من المدّة ، وهى قبيح تورثه الذنوب ، ونجانا من الكروب والعطوب ، وجعلك دائما مطمئن النفس ، تتبع البر كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " البر ما اطمأنت إليه النفوس " وستنجلي عروس ، ويزول البوس ، وربما تمر أيام وفيها التزام ، للقبض ،

على الزمام ، أو ربما تمر حوادث الظروف بشئ من الخوف ، فعليك بحسن التوكل ، واستشر قلبك بما يطمئن ، وإذا استحضرت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم استشرت قلبك واطمأن إلى شئ كان هو المراد ، ثم لا تقل أنا فاعل كذا مع النبي صلى الله عليه وسلم . أما عن حضرة النجل محمد حفظه الله^٦ ، فإن شاء الله ناجح بتفوق ، وإنى أراه بقلبي يترقى الدرجات العلى ، وقد رأيت بقلبي أيضا أنه صاعد إلى الوزارة " وزارة من الوزارات " فارتقى سلم الوزارة ، وكان فى الأول هيابا ، وأنت صاعد ثم ناديته فأسرع ولذا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرقيه ، وأن يكتب له السعادة .

والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

عبد السلام الحلوانى

١٩٤١/٥/٢٨

^٦ - كان طالبا بكلية الحقوق وقد عين بعد تخرجه وكيلا للنياحة ثم ندرج فى الترقيات سريعا حتى صار مستشارا بمجلس الدولة ثم توفاه الله شابا طاهرا رحمه الله رحمة واسعة .

وكذلك أقواله رضى الله عنه

- ١ - أما الشوق يؤدي للجمع ، والجمع لا يكون إلا بالجمع ، والجمع جمع القلب على الله ، فإذا كان شوق فلا يكون إلا لله ، فإن تعدى لإنسان فلا يكون إلا بجمعه على الله فلا يكون شوق لإنسان إلا لمحبة الله ، فهو بالله وإلى الله وفى الله وعلى الله وبالله ، فإذا كان عندى شوق فمظهره أنت ومنك طوقت جيدي وعرفتك بالله ، فإذا توجهت إلى الله وجدتك أنت مع الله ، فإذا عرفت إنسانا لا تعرفه إلا لله ، فالله سخرك لهم ، وجعلك إن أحببت أحدا الطاحون تدور عليه ، وجعله الحجر يدار عليه ، فإن دار شئ على الحجر ، فأنما الدر أصل البر ، والبر من أصل السر ، فلا بر إلا من البر ، وكله لله ، فمعاملتك لله وليست للناس .
- ٢ - فكن معه واصطبر لعبادته ، فقد قالوا : إن الاصطبار نهاية الصبر ، ومن صبر ظفر ، ومن لازم وصل ، ومن أدمن

قرع الباب يوشك أن يفتح له ، والشجرة إذا أورقت أزهرت فإذا أزهرت وكانت من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أدركت ، فإذا أدركت أثمرت ، والثمرة هنا الأعتقاد الكامل ، ثم المعرفة ، والوقوف مع الله عند حد الأدب ، فالله سبحانه وتعالى ملك الملوك فنحن فى ملكه ، وواجب علينا خدمته سبحانه وتعالى ، فإذا عبدناه فإنما نحن عبيد مفروض علينا عبادته أى خدمته ، ولا نبغى بذكرنا وعبادتنا إلا أننا خدم وعبيد ، والله يفعل فىنا ما يريد ، لا نبغى بذكرنا وعبادتنا أى ثواب ، ولا نخاف من عقاب ، بل نرضى بما قدره وقضاه فليس الأمر لسواه جل علاه ، وهو الرحمن الرحيم .

٣ - والسلام على سيدنا محمد بحر الجود ، الذى شرب من شرعه قوم وقفوا على ساحل بحره الزاخر ، فلم يخوضوا خوف الغرق ، ولكنهم وقفوا للشرب منه عند الشرق ، فكل من عطش واشتد به العطش شرب من بحر الرسول فارتوى ،

وكل من ارتوى أدرك بأثر الرى أنه ضعيف ذليل ، ولا يمكنه أن يشرب البحر " وهو الشرع " فيبوء بعجزه إلى الله ، ويقف عند حده عاجزا أمام الله ، خاليا في التوحيد من كل دليل عقل أو نقل ، متبرئاً إلى الله تعالى من نسبة العلم أو الدليل ، خاليا من الأقوال والأفعال ، وفي اصطلاح هؤلاء القوم قصد الحق مجردين عن الشواغل ، متطهرين من العلل / مثل من يحج ، فإذا نوى الحج خلع كل نية أخرى ، وفسخ كل عقد عقده منذ خلق ، ما يكون غير نيته الحج إلى الله والوقوف بين يديه خاليا من كل الشوائب ، فإذا نزع لباسه تجرد من كل شئ ، فإذا تطهر زال عنه كل علة ، فإذا لبي سمع بقلبه جواب التلبية فتلذذ بالنداء ، فإذا دخل الحرم ترك كل محرم ، فإذا أشرف على مكة أشرف عليه حال من الحق ، وعلامته البكاء ، لأن الملائكة تحفه ، فإذا دخل المسجد دخل قرب من الله سبحانه وتعالى ، فخشع وطاف ورمل هاربا من الدنيا ، ورجع وسكر ،

وركع بعد أن صافح الحق بمصافحة الحجر ، كما ورد في الأثر ، فظهر عليه الأثر . ومن ظهر عليه الأثر نال الرضا ، واستشعر أنه تحت العجز عرف واغترف ، وترك أمره لله ، وصفا له الحال ، وافترق من الدنيا مالا وعلمًا وعملا واغتنى بالمآل ، مآل الخادم عند مولاه ، يصيره كيف يشاء ويضعه في مكانه كما شاء أن يجعله من خدامه ، والله رءوف رحيم ، فمن عرف القوم وسار بسيرهم نجا ، وكان مع شدة الخوف كثير الرجا .

٤ - باسم ربى أحبيك بالسلام ، سلام الروح خالية من الخيال ، ومن الحيلة والأحوال ، إلا من الله الواحد ذى الجلال سلام من عبد السلام ، عبد يفخر ويزيد تيتها وعلوا ، بأنه عبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، هنيئا له ، لأنه خلقه الله أسألك يارب حيث خلقتنى من عبيدك ، منتسبا إليك أن تجعلنى من فريق الجنة ، وما أطلبها إلا أنها مكان قريى منك ، ولا تجعلنى من فريق السعير ، لأنها تبعدنى عنك ، وإن كان قدرك سبق ، ولكن أسألك اللطف فيه ، أنت المسيطر ،

ولك حضرة الإطلاق تفعل ما تشاء ، سبحانك لا إله غيرك ، ولا معبود سواك يا حي يا قيوم .

٥ - من تفكر فى دينه سلك ، ومن حافظ على آداب الطريق فى سيره إلى الله ملك ، وكان فى أفعاله كالملك ، سبحان من أدب النفوس ، وأرسل لها العروس ، وأنزل الكتاب كالطروس ، فكان طبيب النفوس ، كتاب أحكمت آياته ، ونطقت بيناته ، وكل إنسان بنياته ، له هبة موهوبة ، وأمور فى الدنيا مطلوبة ، فمن أسعده الله أعطاه ، ومن وفقه الله أغناه ، إليك أرغب ، وأياك أرهب ، اللهم ألهمنى الصواب ، واجمع قلوب الأحاب على الباب .

٦ - أعلم أن طريق شيخنا رضى الله عنه ، طريق الذكر فقط وليس غيره ، ففيه الفتح ، وفيه الطلب ، وفيه قضاء الحوائج ، وهو منه وإليه ، وبه كل شئ ، فإذا أمرتك بشئ غيره فاضرب عنه صفحا ، واتبع الذكر فى الأسماء ، العلو إلى

السماء ، قلبك مع ربك ، وربك معك ، فليس بعيدا عنك ، يقربك إليه ، ويعرفك به ، ومن عرف الله عرف الحكمة ، ومن سلك سبيلا غيره وكان يجهل بحره ، جره هذا السلوك إلى الشكوك نجانا الله منها (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) .

٧ - إن القلوب لها معان في مناجاتها ، تتعارف بها الأرواح الخاصة ، وتتفهم دقائقها في صفاتها ، إذ تنعكس أشعة الأرواح على بعضها ، فترى بنور الإيحاء الرحمانى ما لا يراه غيرها ، إذ تتفاوت الأرواح بين الأحباب وأولى الألباب ، واللبيب من لبي أى أجاب مولاه فلباه ، وأعطاه قوة إدراك النفوس فيدرك معانى القلوب ما تتناجى به

، سواء بين العبد وأخيه ، أو بين العبد وربيه ، وهناك فى القلوب خبايا وخفايا وأسرار لا يعلمها إلا الله ، ولو شاء لأطلع بعض الأخصاء على بعض القلوب لحكمة يعلمها ، وبالجملة فهو ستار غفار .

٨ - فلا يهدأ لك بال ، إلا أن تشكر الله تعالى بأسداء المعروف عليهم مما أنعم الله به عليك ، فترى من واجبات الحمد

والشكر لله على نعمه الوافرة الجود مما جاد ، ليكون لك الزاد فى المعاد ، فنعم الحمد ونعم الشكر ونعم الزاد ، (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) هذه منة أنعم الله بها عليك تغبط عليها ، ولا أقول غير ذلك ، ومرة أردت أن أقوم بالصب على نوبى عجوز للوضوء وكان بوابا تحت إمرتى ، فلم يشأ منعى وانتظر حتى أتم وضوءه ، ثم قال : يا بنى إنى لم أرد حرمانك من الثواب وأطلب لك من الله أن يكثر نعمته عليك ، وأنت يا سيدى تدرك ما أقول ، فقد أفضت على والسلام .

٩ - (يا أيها الناس أتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن والده * ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) خلق الخلق وسبب الأسباب ، وقضاؤه نافذ ، خلق أبا البشر فتناسل وتسلسل التناسل إلى وقتنا ، فهو سبب لوجود الخلق ، ولكن كل فرد مسئول عن عمله (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) " الدنيا

ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله " وفي رواية أخرى (إلا ذكر الله وما والاه) فلا أنا
 مسؤل عن عمى ابن أبينا آدم ، ولا خالى أخو بنت أمانا حواء مسؤل عنى ، إنما هو قضاء
 وقدر على جميع الخلق ، ينفذ فى ظروفه على كل فرد ، بما قدر له فى الأزل ، وعلى كل
 الورى يجرى القضاء ، وإنما نسأل الله اللطف فى القضاء ، وأن يفقهنا فى ديننا ، ويوحى فى
 قلوبنا الخير لنسير على منهجه القويم وشرع نبينا الكريم ، فلا نجد فى قلوبنا سواه ، فنتبع
 هداه .

١٠ - وبعد ، فلكل فرد خطة مقدره ، يراها الله فى سير العبد ، وقد رزق الله الأباء
 والأمهات رحمة فى قلوبهم لأولادهم حتى يقوموا بما قيضهم له ، ولأسباب مسببات ، وكل
 شئ بأمره ، فبعد انقضاء الأمور حسب الأمور ، منها التربية والنجاح والفلاح واستتباب الأمر
 لكل فرد ، قام كل منهم بما قدره له وسار فى سيرة ، وحيثئذ (لا يجزى والد عن ولده * ولا

مولود هو جاز عن والده شيئاً) وإنما الغرض أن يجتهد الوالدان في حالة الكفالة إلى أن يكون الولد من أهل الصلاح والفلاح .

١١ - الشكر لله دقيق في توجيهه إليه ، فالشكر باللسان مأمور به الإنسان ، والشكر بالقلب نعمة أنعمها المنان ، وهو قسمان : قسم على النعم الظاهرة ، وقسم على النعم الباطنة ، وهناك قسم آخر يرتقى إليه طالب ربه فيرى ربه متكلماً به قبل أن يراه ، فيحمده على ما أعطاه ، توجيه القلب للبارى نعمة يرى بها النعم فيفرزها ويراهها على نفسه ، فإن فقهه الله فيها وجد أن التقدير فضل كبير ، ولو اطع أحدكم على الغيب لختار الواقع .

١٢ - أحمدته سبحانه وتعالى وأتوب إليه ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد بن عبد الله الرؤوف بالمؤمنين ، وعلى آله وصحبه وشيخنا والتابعين ، ولقد قالوا : للذكر نور يظهر من الباطن إلى

الظاهر وتكون له بواذر وطوالع ، فيكون هناك إشراق على الوجه يجذب الأرواح فتكون الطوالع طوالع تتلعلع فى جبهة الذاكر ، وتكون دليل الذاكر فى أحواله وكلامه ومخاطباته ، وتكون باب الهداية للغير ، فإذا ترقى الذاكر اشتد إلهامه ، وهكذا يترقى بعد الأحوال إلى مقامات القرب حتى يتحول من النظر إلى الدنيا إلى الآخرة ، فلا يكون بينه وبين الله حجاب فتكون روحه مع الله سبحانه وتعالى فلا يرى غيره ، ويتحول الإشراق من الظاهر إلى الباطن ، فبعد أن كنت ترى الولى مشرقاً تراه قد أنطفأ إلى الحالة العادية حتى لتتاجى نفسك أين النور الذى كنت أراه ولا تدري أنه مع الله ؟ زهد الخلق وتركهم وترك أحوالهم ، فلا يعلمه إلا الله ومن مثله فى ترقى الدرجات والمقامات ، أما من وقف عند حد واكتفى أو فرح من الدنيا بما أعطاه الله فهو والخلق سواء ، بل فرح بما أعطى فى الدنيا للدنيا ، وقد يحاسب عليه يوم القيامة حساباً

عسيرا ، وأنا أبرأ إلى الله مما أقول بغير حق ، فأوصيك بالتقوى وطلب المزيد فى الأعمال الصالحة من الله ، فهو المعطى سبحانه وتعالى وجد واجتهد ، ولا تقل عملت كذا أو طلبت كذا ، بل خذ لك ساعة من نهارك أو ليلك ، وحاسب نفسك بين يدي ربك ، وعلمها الأدب معه ، واستصغر نفسك أمام الله فلا تعرف سواه ، فهو العليم الحكيم القادر المقنن ، وارض بقضاءه وقدره ، وكن مع القضاء حيث أراد الله لك ، واترك أمورك بين يديه ، ولا تقل إن من المسائل التى أحب أن تنتهى لأستريح مسألة فى نفسك قضاها وأنت لا تملكها ، فإنك لا تعلم الخير فى تعجيلها أو تأخيرها ، ولا تدري ما هو مدخر عند الله ، فرب ضارة نافعة ، وربما تتعجل الأمور ولكن فى التأخير خير ، وربما تريد فى البيت أمورا ولكن قضاء الله غير ذلك ، وربما تريد التأجير والتمليك أفضل ، وهو مدخر لوقت آخر ، فالتسليم لله أفضل ، أما ما نفذت به أرادة

الله وقضيت الحاجة وقت الحاجة ، فهذا ما أَراده الله لك ، ومادمت متوكلا عليه فستره فائض عليك ، وإنما إرادته تنفذ بما يقذفه في قلبك ويحسنه إليك لتسير في تنفيذه حتى يأتي الأجل المضروب ، فلا تعرف ستره عليك إلا بعد نفاذ أمره فلا زيد ولا عمرو ، وإنما الأمر أمره ويفعل ما يشاء . واعلم أنك مستور ، الرزق موفور ، والمسائل لا تحتاج إلى مشاكل وإنما المشاكلة في تدبير الأمر لتنفيذ الأمر ، فخذ لك من مجرى النهر سبيلا ، وخطا ممدودا مجرورا من سير الماء حيث يلتقيان في برزخ لا يكون فيه بغى على أحد ، والله يركبك في سيرك ما دمت في قلبك تستشيريه وتستخيره ، والبر ما اطمأنت إليه القلوب العامرة بالله ، وحافظ على سلوكك ، فلو سلكت طريقا مستقيما فاتبع السير فيه ولو كان طويلا ، لأن التحول من طريق إلى غيره ربما يكون فيه شوك وأنت لا تدريه .

ولم يكن سيدي الشيخ عبد السلام يقرض الشعر عادة ولكنه رثى أحد تلاميذه وهو التقى الصالح والعالم العامل ،

سليلى بيت العلم والمجد الشلخ ((أأمد غلبون)) من أسرة غلبون الشهيرة بالمغرب ، فقال
رضى الله عنه :

فراقك يا غلبون والله غصة

يفتت أكبادا إليك ظواميا

لقد كنت فينا مستقيما وصالفا

تقيا وللإخوان كنت الموافيا

سليما من الأوزار حقا موفقا

تواصل ذكر الله فى الليل دانيا

أقمت توالى كل فرد على تقى

وسرت لتلقى الله بالذكر صافيا

ففى جنة الفردوس روحك ترتقى

إلى صحبة المختار بالله ساميا

وقد كنت فى الدنيا تراه مواليا

فعند الإله الحق أكثر رأيا

فيا أحمد الأفعال ظللت وارف

ستلقى علواً من إلهك راقيا

ويأبها الإخوان رفقا بحالكم

فكوكبه الوضاء أصبح خافيا

لقد كان للإخوان والله موردا

ندياً وذخرا للملمات كافيا

وكان كمثل السحب يمطر غيثه

فيصبح وجه الأرض بالزهر زاهيا

وكان نضير الوجه يلمع بالضيا

وسيما نديا مخلص الود زاكيا

فإن تذكروه فأنكروا العز والعلا

سجاياه لا تنسى وإن غاب ثاويا

فقدنا مزايا منه كانت ندية

تشابهه فوح العطر أنضر صافيا

ولكننا فيه احتسبنا مصابنا
وعند إله العرش نرجو المراضيا
ونرجو له الخير الذى هو أهله
وفى كنف الرحمن ينعم راقيا
فلا زال فى دار النعيم مكرما
ولا زال عنه الله ذو الفضل راضيا

كراماته :

إن كرمات سيدى الأستاذ أكثر من أن تحصى ، فقد كان يلمسها كل الإخوان فى كل آن ، ولا يكاد يفتح بابها فى كل مجلس من مجالسهم حتى يسوق كل منهم ما وقع له من سيدى مرارا . وإنى أكتفى هنا بسررد بعض ما وقع منها معى شخصا على سبيل المثال .
١ - دعوت سيدى لزيارة قريتنا (ملاطية - مغاغة -

المنيا) فدخلها لأول مرة واستقبله فى المحطة عدد كبير من أهلها وسار إلى جنبه بعض الأعيان ، وعند ما حازى منزل اقدمهم تظر إليه وقال هذا منزلك يا شيخ حسن ، فما كان منه إلا أن دهش وألح على سيدى الأستاذ بدخول منزله للتبرك ، وكنت حينئذ يجوار سيدى الأستاذ.

٢ - كتب لى مرة " ويزيد دخلك فى هذا العام " وكنت حين كتب هذه العبارة حاصلًا من بضعة أشهر على الدرجة الخامسة ، وكانت لا تعطى لنا علاوة الترقية إلا بعد سنة فحدث أن صدر بعد ذلك قرار بصرف العلاوة للموظفين مع التجاوز عن المدة الباقية من السنة مع أن زملائنا الذين سبقونا بالترقية مضوا السنة بكاملها .

٣ - عندما أعلنت أنجلترا الحرب على ألمانيا فى أول سبتمبر ١٩٣٩ زرت سيدى الأستاذ وقلت له يقولون : أن مصر ستكون ميدانا طاحنا لهذه الحرب فنظر إلى رضى الله عنه وقال:

تسألنى على ما يدخل فى روعى ؟ فقلت نعم ، فقال رضى الله عنه حرفيا : يدخل فى روعى أن مصر لا يصيبها إلا رذاذ ، فأخبرت بذلك كل من لقينى يومها من الإخوان ، وهذا ما حدث فعلا رغم تخرج الأمور إلى درجة كان يظن معها أن خراب مصر أصبح محققا والعياذ بالله حين وصل الجيش الألمانى إلى العلمين بالصحراء الغربية .

٤ - نقلت فى منتصف سنة ١٩٤٠ من وزارة المالية إلى مصلحة الضرائب ، وكان فى نقلى بعض التحدى فزرت سيدى الأستاذ وكان لا يزال مأمور دائرة طوسون باشا ، بشبرا فسألنى عن حالى فأخبرته بنقلى إلى مصلحة الضرائب ، فأقسم فى تأكيد أنهم سيحتاجون إلى فى الوزارو ويضطرون لإعادتى وكرر رضى الله عنه القسم ، وفعلا تم ذلك وأعادونى إلى الوزارة بعد إلحاح على فى أوائل سنة ١٩٤١ وقدموا لى كل الترضية .

٥ - وعندما اشتدت الغارات وتوالت على الإسكندرية ومصر ، ونصحت الحكومة بالهجرة إلى الريف ، قال سيدى

لإخواننا أنا لا أمانع أحدا من الهجرة ولكنى سوف لا أهاجر ، وكان رضى الله عنه فى منتهى الاطمئنان . ولما تقدم رومل إلى العلمين قلت له بلغت القلوب الحناجر ، فقال إن بعض الناس كان عندى وأخبرنى أنه رأى فى المنام أن الألمان دخلوا مصر وصار الناس فى هرج ومرج وذعروا وأخذوا يهيمون فى الشوارع على وجوههم ، ثم نظر إلى وتبسم وقال بالعامية " إلا ده ها يحصل لا والله " . وقد كان من أثر اطمئنان سيدى الأستاذ أن الإخوان اطمئنا ولم يدخلهم من فزع الغارات الرعب الذى دخل غيرهم حتى كشف الله الغمة عن الوطن العزيز .

٦ - قدم والدى طلبا للحج بالدرجة الأولى أو الثانية فى سنة ١٩٤٣ فلم يقبل طلبه إذ كان التزام شديدا على الدرجتين الأولى والثانية والأماكن محدودة فاستاء والدى لذلك كثيرا ، وكنت يوم أن رفض الطلب أزور سيدى الأستاذ فسألنى

ماذا فعل والدك فى طلب الحج ؟ فقلت رفض طلبه ، واستاء بذلك كثيرا ، فأطرق رضى الله عنه وقال : ولكنى أقول أنه سيسافر ، استبشرت وقلت لسيدى الحمد لله ، فاستطرد حضرته قائلا : إنه سيبدل مسعى وسينجح المسعى ، وفعلا حدث أن جاء والدى من الصعيد وبذل مسعاه فى وزارة الداخلية ، وصرح له بالسفر بعد أن كان الامل معدوما بينما رفضت طلبات أخرى بذل فيها أصحابها أكبر السعى .

٧ - كنت مرشحا للدرجة الرابعة ، وقدمونى على غيرى استنادا على مبدأ الكفاءة ، ولم يكن قد مضى على فى الدرجة الخامسة سوى المدة التى تجيز الترقية ، ولما عرض الأمر على الوزير رأى أن يؤخذ فى الترقية بمبدأ الأقدمية المطلقة فلا تصل إلى الترقية ، فسألنى أستاذى رضى الله عنه يوما عما تم فى المسألة ، فأخبرته الخبر ، فأكد لى رضى الله عنه بأن الوزير سيتغير مع أنه كان حديث التعيين فى الوزارة ، فما مضت أيام حتى نقل هذا

الوزير فجأة إلى جهة أخرى قبل أن تصدر حركت الترقيات ، وتمت لى الترقية على يد الوزير الجديد دون معرفة أو وساطة .

٨ - طاب لى أن ألام سيدى الأستاذ فى منزله الرقيب أثناء الحرب العلمية أياما سعيدة ، ومن عجب أنا قمت معه شهرين فما خطر ببال شئ فى هذه المدة الطويلة حققها من تلقاء نفسه حتى إنى كنت أجد على مائدته ظهرا ما كان يخطر ببالى صباحا وكان يدارى كراماته رضى الله عنه ، فى كل مرة ويقول : صادفنى هذا الصنف فاستحسنته فأحضرته ، وكانت نفسى لا تشتهى شيئا إلا أمر الخادم بإعداده عند وقوعه فى نفسى توا .

٩ - وكم حدثنى سيدى رضى الله عنه بأشياء كثيرة كانت مخبوءة فى قرار نفسى ولم أطلع عليها أحد وأرشدنى بما يراه فيها فجزاه الله عنى وعن جميع الإخوان خيرا كثيرا .
مراثيه :

يضيق هذا الكتاب فى ذكر المراثى ، ولقد أنشدنا فى رثائه شادينى النورانى سيدى الشيخ على عقل القصيدة

التالية وقد تعرض فيها لرجال سلسلتان كبار الأئمة وانتهى بالكلام عن أستاذه المباشر سيدى الشيخ عبد السلام الذى كان يعزه معزة خاصة حتى قال لى مرة : الشيخ على يا فلان من أساطين الطريق .

قال سيدى الشيخ على إلهاما وارتجالا لوقته رضى الله عنه :

الحمد لله بالإيمان يهدينا

وبالمحبة يرضينا ويعطينا

هدى إلى الحق أقواما وميزهم

بالحلم عاشوا وهم بالله راضونا

قوم خلوا بجلال الله وانتهجوا

نهجا من الصدق كانوا فيه وافينا

ثم اختفوا عن عيون الناس وابتهلوا

الله واجتهدوا فى الله هاديننا

وأدركوا أن نور الله مركزه
قلوب قوم لوجه الله ساعينا
حتى إذا ما أراد الله يظهرهم
ويعلن الحق فيهم مستفيضينا
ساروا على الهدى والرحمن يكلؤهم
بفيضه وهموا فيه يريدونا
أعلامهم في سماء المجد قد نشرت
ومكنت من قلوب الناس تمكيننا
والله علمهم بالشرع فهمهم
فسددوا وأقاموها براهينا
وعاهدوا الناس في سر وفي علن
أن يلزموا الحق والقرآن والدينا
من كل سلسلة في الله سائرة
لا تتبغى غير وجه الله تبييننا

منهم شيوخ أعز الله قوتهم
موصلين بنور الحق ساريننا
فأحمد البدوى الحبر سيدنا
أصل الطريق وباسم الله هاديننا
لة مناقب لا تحصى لكثرتها
ولم يكن خافيا بين المحبيننا
أقام لله صرحا من دعائمه
صدقا وزهدا وأخلاصا وتحصيلا
أتباعه ملأت كل البلاد هدى
فهم على سنة الهادى مجدونا
وجاء من بعده البيومى سيدنا
على المرتضى شيخ المفاضيننا
سلطان أهل التقى فى عصره وله
رياسة الكل بين الناس تمكيننا

وبعده غفلت أهل الطريق لما
أتى على الناس أمسى الكل مفتونا
أراد ربك يحيى القوم فانبعثت
آياته بعد إخفاء توالينا
أتى مجددهم يحيى الطريق ومن
أعطاه مولاه علما ثابتا فينا
أبو خليل أعز الله سيرته
محمد من لوجه الله داعينا
شهم أشم قوى الجأش ذو همم
مصرف سيد بالحق ينجينا
أعطاه مولاه نورا لا حدود له
فبين العلم والإيمان والدينا
فكان بالفضل والإلهام آيتنا
للسالكين وكم أحيانا مردينا

وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم
أولاده بقيام الليل راضون
وكم له خلفاء قال قائلهم :
إلى هنا تنتهى أرواح المجدينا
أجلهم منزلا أعلاهم ثقة
أرضاهم خلقا أزكاهم دينا
أحلامهم منطقا أقواهم همما
أوفاهم كرما لا يقبل الهونا
مؤدب ما رأينا فى مجالسه
إلا الكمال وسهل إذ يناجينا
عبد السلام وزكى الله تربته
بالطيب والمسك وازدانت رياحينا
قد كان والله بالرحمن معتصما
وكان والله يسترضى المساكين

وكان للفقراء الردء يحفظهم
فلا يضيعون بل منه محاطونا
وكان كنزاً هنياً لا حدود له
شهما زكياً جليلاً القدر هادينا
أقسمت من كان عن جد يعاشره
لم ينسه أبداً بين المحبين
أخلاقه في حدود الدين قد رسمت
وكان في سنة المختار مأمونا
وكان ينطق عن علم وعن حكم
يزجى لنا لؤلؤاً بالفيض موزونا
حدثت عنه ولم أكذب وما قدرت
روحي تقدره بين المجدين
يكفيه فضلاً بأن الله سخره
للناس يحييهم ديناً ويحيينا

أقام فينا ولم يبيغ الظهور ولم
ولم يرد مدائح منا حيث يوصينا
وكان يغضبه مدح العباد له
خوفا من الله حتى عاش مكنونا
تحمل الناس في كل الظروف فلم
يفه بنقص ولم يغضب مردينا
وسامح الكل في سر وفي علن
فما رأينا وقت الغيظ محزوننا
وعاش فينا سنى فضل وتكرمة
حتى وقت سنه بضعة وسبعينا
وقابل الله موفور الكرامة في
ذى القعدة المرتضى عزنا وتمكيننا
يا رحمة الله صبي الغيث وأكتنفي
ضريحه رفعت بين المفاضينا

إن مات جسمك إن الموت يكتبه
ربى على كل مخلوق يرى فينا
لا زال نذكرك حيا لا يموت إلى
يوم القيامة والبارى ينادينا
أن أقبلوا تحشروا فى خير منزلة
مع النبى شفيع الخلق منجينا
وكلنا فى رياض الحق يجمعنا
رب السماء وبالإسعاد يعطينا
تاريخه لأولى الألباب نكتبه
عبد السلام بفضل الحق حاديننا

كلمتى الختامية

أى أستاذى الجليل :

سلام عليك من قلبى الذى ألقىت به إليك فتعهدته بحكمتك العالية فى السر والعلانية ، ولو كنت تعالجه من داء ظاهر لهان الأمر ، ولكنك نفذت إلى عله الباطنة تستقصيها وتداويها ، وما أكثرها فى مثل قلبى ! ولست أدري بأى لسان أشكر الله الذى أرسل لى الدواء على يديك ، فلان القلب بعد قسوة ، وذكر الله بعد غفلة .

أقول هذا تحدثا بالنعمة ، وإشادة بما كان لك من فضل على وعلى الناس :

كم من يد بيضاء أسديتها

تثنى إليك عنان كل وداد

شكر الأله صنائعا أوليتها

سلكت مع الأرواح فى الأجساد

أما ما كنت فيه أنت من فضل فقد أشرت إلى بعضه ، ولأداعى إنى وصلت إلى عده ، وحسبى أن يكون ما قلت كإشارة الأصبع إلى النجم فى سماه فيهدى بك من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا .

وأقسم لقد اجتمعت بكثير من ذوى الصلاح والفضل ، فما رأيت فيهم أحد يوازيك أو يدانيك ، وأقسم ما وجدت صفة محمودة فى القرآن إلا وجدتھا بارزة فيك ، فالعلم والحلم ، والصبر والكرم ، والأقدام والشمم ، والتسامح والوفاء ، والتواضع والصفاء ، والتعفف والسخاء ، كل هذه كانت من صفاتك الغراء ، إلى جانب ما حباك الله به من إيمان فذ بالله وثقة تامة فيه ، واعتماد كلى عليه ، واتجاه دائم إليه .

وأشهد بالله ما وجدتک شاکیا من الدنيا مرة على طول عشرتى لك ، بل كنت دائما كما عهدتک الراضى الشاکر .

وأشهد بالله ما وجدتک جازعا من مصيبة ولا متبرما من

مكروه ، ولا أنسى ما قلته لى حين مات نجل أختنا المبارك الشيخ على عقل فمدحت لك صبره الجميل " أنا والشيخ على تأتينا المصائب فلا نبرح مكاننا " كما لا أنسى صبرك الرائع على الأمراض الكثيرة والشديدة التى ابتليت بها فى سنواتك الأخيرة ، والتى لم تدع شبرا فى جسمك إلا أصابته ، وذلك الصبر العجيب الذى أدهش الأطباء أنفسهم حتى قال لنا واحد منهم : هذا رجل عجيب لأنه صابر على ألم لا يطيقه عشرة رجال . ولازلت ياسيدى أذكر عباراتك الحلوة الأخاذة التى قلتها لى وأنا إلى جوار سريرك وقد كنت أجريت العملية السادسة فى إنسان عينك حين أطرقت قليلا ورفعت وجهك وخاطبتنى صابرا محتسبا " له الملك وله الحمد عطف سبحانه الحمد على الملك والملك يشمل الخير والشر ، إشارة منه أنه يجب أن يحمد فى الخير والشر على السواء " ولازلت أذكر كذلك وصيتك لبعض الإخوان " واعلم أن الصبر على الصبر هو الصبر " .

وأذكر يا سيدي أنك كنت تنكر ذاتك وتحاول أن تخفيها فلا يزيدها الله إلا رفعة وظهورا رحمة منه بعباده ، لأن الأتصال بمثلك رزق يسوقه الله بالمؤمنين ، فكم هدى بك إلى الرشد وكم زاد بك اليقين .

إن كنت تكبر أن تختال في بشر

فإن قدرك في الأقدار يختال

كأن نفسك لا ترضاك صاحبها

إلا وأنت على المفضل مفضل

أما فطنتك الكبيرة وأحاسيسك الرقيقة فما زالت موضع الإعجاب منا ، إذ لم تنقصها الشيخوخة والأمراض منها شيئا ، وهل لفطنتك من شاهد أبلغ من إنك بقيت سنوات تدير أمر الدين والدنيا معا ، وتشير على الإخوان بما ترى وأنت على فراش المرض ؟
ولئن بارحتنا بجسدك فإنك تخالطنا بروحك الطاهرة الزكية التي تؤنسنا في جنب الله ، ولئن حرمتنا الموت من

مجلسك الموقر ، فاننا نعيش سعادة فى ذكراك الحميدة ، ونتمثل شمائلك الكريمة ، ونسير
على نهجك الأقوم وإن لم نبلغ شأوك ، وإنى أتمثل بقول أخى فى الله وتلميذك الأديب الراحل
الأستاذ محمد جاد الرب حين قال فيكم يا شيوخنا الأجلاء :

إن لم يكن لى عزمهم وجهادهم
فإنى بهم صب وفيهم متيم
وإن ضاق خطوى عن لحاقى بركبهم
فأنى على آثارهم أترسم
ومن يعتزم عبر الطريق فإنه
سيهدى إلى سر الطريق ويلهم
ولا بد للسارى وإن كان وانيا
إذا صح عزما أنه يتقدم

إبنك

حسن كامل الملاطوى

منهاج الطريقة الخليلية

ليست لسيدى الحاج أبو خليل إمام طريقتنا الأكبر أورد تتلى ولكنه رضى الله عنه بنى طريقتنا على الأكتار من ذكر الله تعالى والصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضى الله عنه يقول : الأورد جاءت لأصحابها من آثار ذكر الله كثيرا ، فنحن نكثر من ذكره تعالى كما امرنا سبحانه ، ولا نتطفل على موائد غيرنا . وكان رضى الله عنه يقول : إبنى الذاكر .

والواقع أن التجربة أثبتت صدق هذا التوجيه ، فقد رأى تابعوه ثمرة الذكر الكثير فى شكل إلهام ينقدح فى قلوبهم ولم يكن لهم به عهد قبل سلوك الطريقة الخليلية ، وكفى شرفا للذاكرين أن يقول الله تعالى فيهم (فاذكرونى أنكركم) وقد وصفت

سيدتنا عائشة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : كان يذكر الله على جميع أحيانه.

وها هي ذى الأسماء الحسنى التى أمرنا شيخ طريقتنا الأكبر بذكر كل منها مائة ألف ، دون تعيين حد أدنى أو أعلى فى الليلة الواحدة ، بل يذكر المرید بعد الغروب ما يستطيع من العدد ويوالى الذكر ليليا ، حتى إذا تم له فى الاسم مائة ألف انتقل إلى الإسم الذى يليه . ويراعى المرید معنى الإسم حين يذكره ويقف على الاسم بالسكون . فإذا فرغ من جميع الأسماء أعادها مرة بعد مرة ليكون على الدوام من الذاكرين الله كثيرا وقد وعدهم مغفرة وأجرا عظيما .

معناه	الاسم
لا معبود بحق إلا الله	١ - لا إله إلا الله
علم على الذات العلية	٢ - الله
حاضر لا يغيب	٣ - هو

دائم الحياة	٤ - حى
لا ثانى له	٥ - واحد
لا نظير له	٦ - عزيز
كثير الود لعباده	٧ - ودود
ثابت لا يتغير	٨ - حق
يقهر ولا يقهر	٩ - قهار
قائم بأسباب المخلوقات	١٠ - قيوم
كثير العطاء	١١ - وهاب
مطلع على أفعال مخلوقاته	١٢ - مهيم
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده	١٣ - باسط

أما الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلها فى الطريقة الخليلية صيغتان ،
صيغة تردد نهارا على قدر الطاقة بلا عدد معين ، وصيغة تردد ثلاث مرات عقب كل صلاة من
الصلوات الخمس

المفروضة علينا ، وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . والصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم معناها مولاته بالفيوضات والمنح ، والصلاة عليه من الملائكة معناها طلب المزيد من ذلك ، وكذلك الصلاة عليه من المؤمنين يفيد هذا المعنى .

وها هي ذى صيغة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم نهارا على قدر الطاقة :
 اللهم صلى على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .
 أما الصيغة التى تتلى ثلاث مرات عقب كل فريضة من فرائض الصلاة فهى :
 اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا ، وعدد كل حرف ألفا ألفا ، وعدد صفوف

الملائكة صفا صفا ، وعدد كل صف ألفا ألفا وعدد الرمال ذرة ذرة وعدد كل ذرة الف الف مرة ، عدد ما أحاط به علمك ، وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك ، عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل ، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مثل ذلك .

فتأمل فى هذه الصيغة الجامعة التى لا يعلم عددها إلا الله تعالى . ومعنى الواجب الوارد فى الصيغة هو وجود الله تعالى ، والجائز هو فعله سبحانه للممكن أو تركه ، والمستحيل هو أن يكون لله شريك أو صاحبة أو والد أو ولد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهو جل جلاله الواحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وإذا علمت أنه ليس كمثله شئ ، فإن كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك .

وصايا وحكم عالية وغالية

١ - (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

قرآن كريم

٢ - اغتتم خمس قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ،
وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

حديث شريف .

٣ - الدنيا تفر وتضر وتمر .

الإمام على بن أبي طالب .

٤ - ومن وصايا سيدنا لقمان لابنه وهو يعظه :

(أ) اتخذ تقوى الله تجارة يأتيك الربح من غير بضاعة .

(ب) يا بني لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة .

- (ج) يا بنى لا يكن أ لديك أكيس منك ينادى بالأسحار وأنت نائم .
- (د) يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء .
- (هـ) يا بنى إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك .
- (و) يا بنى إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسيير أقرب من دار أنت عنها ترحل .
- (ز) يا بنى أرج الله رجاء لا يجرك على معصيته ، وخف الله خوفا لا يوءسك من رحمته .
- ٥ - إن آثام اليوم هي عقارب الغد ، وإن سكرة الدنيا هي لهيب العطش فى صحراء القيامة .
- جلال الدين الرومى
- ٦ - اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على أنطماس البصيرة فيك .
- ابن عطاء الله السكندرى

٧ - إذا كان لابد أن تختار ، فاختر ألا تختار .

الإمام أبو الحسن الشاذلي .

٨ - لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم هم ، وأين أولئك ، والله إنهم الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحشوا منه الغافلون ، عاشوا بأبدان أرواحهم معلقة بالملأ الأعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة لدينه .

الإمام علي بن أبي طالب

٩ - الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعا عاتب لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يركنوا إلى ركن وثيق .

الإمام علي بن أبي طالب

١٠ - الناس ثلاثة ، رجل كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا ، ورجل كالدواء يحتاج إليه أحيانا ، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبدا .

الإمام الحسين بن علي

١١ - أساة جسمك شتى حين تطلبها

فمن لروحك بالنطس المداوينا

أمير الشعراء شوقي

١٢ - ومن حكم سيدي الشيخ علي عقل قوله إلهاما وارتجالا :

(أ) تترك المال للوريث ولكن

تؤنس القبر تركة الصالحات

(ب) قالوا اتخذ لك جاها تستعين به

قلت اتخذت فكفوا حسبي الله

(ج) قالوا صف الحب لا تخطئه في صفة

إن كان وصفك بالحق اتبعناه

فقلت صدق وأخلص ومعرفة
 وأن تموت وأن المقصد الله
 وإن تعيش مع الرحمن منكسرا
 وأن يكون لك الباري هو الجاه
 وأن تسير على الشرع الشريف ولا
 تخل بالحكم أو تلعب بمعناه
 فإن تكن هكذا كنت المحب فإن
 قالوا ابتدعتم أجبنا قد رضينا
 ومن سوى الله نرضاه ونقصده
 منذ يشابه رب العرش نهواه

١٣ - من راقب الموت سارع إلى الخيرات .

الإمام علي بن أبي طالب

١٤ - الدنيا ساعة فاجعلها طاعة .

الإمام علي بن أبي طالب

١٥ - اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر .

دعاء نبوى شريف

١٦ - (أن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) .

قرآن كريم

١٩ - (قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

قرآن كريم

١٨ - (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

قرآن كريم

١٩ - (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى) .

قرآن كريم

٢٠ - (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم

خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

قرآن كريم

أوصاف سيدي عبد السلام الحلواني

في نظر غيري

وإليك ما كتب أخى فى الله الصالح الأستاذ المرحوم المتولى قاسم من كبار رجال وزارة التربية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى التى هى أقوم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأكرم ،

وعلى آله وأصحابه أهل اليقين ومن أهدى بهديهم ، وقام على طريقتهم إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنى لست أنسى رجلا من أكمل الرجال ، ثبتنى من اضطراب وهدانى من ضلال ، فنفى

عنى شوائب الحيرة ، وأهدى إلى قلبى نور الإيمان ، فكان - بحمد تعالى - سبب نجاتى إن

شاء الله ، شكر الله صنيعه ، ورفعها إلى مراتب المقربين .

ذلك هو شيخى وأستاذى السيد " عبد السلام الحلوانى " رحمه الله رحمة واسعة ، كفاء ما هدى

لدينه وجاهد فى سبيله .

أشهد بالله ما لقيت رجلا من أسرة الحلوانى - تلك الدوحة الطاهرة المباركة - إلا عرفت فيه

حسن السيرة ، وطيب

الخلق ، وكرم العنصر ، وقوة الإيمان ، فهم أهل تقوى ونقاء ، وكرم ووفاء .

وأكملهم وأقواهم تأثيراً - فيمن عرفت - هو السيد عبد السلام . لقد كان عذب الروح ، جميل اللقاء ، أنيس المجلس ، حلو الحديث ، قليل الكلام ، كثير الصمت ، فإذا تكلم بدأً القائلين ، كان يربى الروح بالطف ما يكون من الرفق وحسن التدرج ، فلا يلوى به القصد ، ولا يصعب عليه المرام . تجلس إليه فيقبل عليك بوجهه وروحه ، فتتجذب إليه ، وتأنس به ، وتستقى من هديه ، وتقتبس من نوره ، ويعز عليك فراقه ، فتود أن تبقى معه على الدوام . ولكن جلسه يشعر له - مع عذوبة روحه - بمهابة تغشى النفوس ، وجلال يأخذ بمجامع القلوب . فكان - رفع الله درجته - يهدى الحائرين ، ويرشد الضالين ، بحديثه الذى استوفى حظه من أفتاح العقول واستمالة القلوب ، وبنظرته المؤدبة ذات التأثير العجيب ، وبنور

الخلاص الذى يشع من جبينه ، وتكاد تلمسه فى نبرات صوته وبالقدوة الحسنة فى أفعاله ، وبحسن السمات فى جميع أحواله .

لا يغضب ، ولا يصخب ، ولا يضجر ، ولا يعتب ، بل هو بطل واسع الصدر ، كثير الاحتمال ، وأقوى ما كان ذلك فى مرض موته ، فقد كان يحدث عواده ويؤنسهم ، حتى لقد ينسون أن مرض محدثهم تنوء به الجبال الراسيات ، ومن ذلك تدرك مبلغ ما أنفق من ماله وأعصابه ، ومن ذات نفسه فى ذات الله ، مع حسن الصبر وجميل الاحتساب .

وكنت ترى حوله الأبطال من كملة الرجال : أمثال السيد عبد المنعم الحلوانى ، والشيخ على عقل ، والشيخ محمد حواس ، والسيد حسن كامل ، وحسن أفندى العنانى - ولكل منهم نوره الوضاء ومزيتة الباهرة - فتغيب عنك أنوارهم ، وتخفى مزاياهم .

ومن أوضح مزاياه فى الدين :

(١) أن مجلسه كان حافلا بالمسائل الدينية والصوفية ، فإذا جد الجد أورد النص المؤيد لرأيه من الكتاب أو السنة كأنما كان على طرف لسانه ، فنرى الشاهد حاضرا مسعفا في الوقت الملائم مع أنه ليس من أهل الحفظ والرواية المتفرخين لهما .

(٢) وأنه كان محب العمل ويراه حيلة الرجل ، ويكره التعطل والبطالة ، ويسعى ما استطاع في تدبير العمل المناسب لمن أدركه تعطل في بعض الأيام .

ولا أزال أذكر بالفضل ، وعظيم الشكر حضرة الشيخ محمد نور الدين الخياط ببور سعيد ، فهو صاحب اليد البيضاء في وصولي إلى هذا الشيخ الجليل ، الذي له أعمق الأثر في حياتي فقد أصابتنى نزلة شديدة ، غشيني بسببها بأس عنيف ، كاد يهلك نفسي ، ويزعزع إيماني ، فكان من فضل الله على أن هداني على يد هذا السيد الكامل ، فتناول نفسي برفق وصبر عجيب ، ومازال بها حتى اسنفادت وزال نفاها ، واستقامة على الطريقة ، وأشرق عليها نور الحقيقة .

فجزاه الله عنى وعن أمثالى خير ما يجزى عباده الصالحين ورضى الله عنه وعن شيخنا الجليل الحاج " محمد أبو خليل " وحشرنا فى زمرة المفلحين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ما عبده عابد وهدى إلى طريقه أحد الهداه .

المتولى قاسم

أما العالم الفاضل أذى فى الله المرحوم الشيخ عبد الرحيم السمنودى الذى كان كبير علماء الملايو فكتب يقول : عزيزى وأخى الفاضل حسن بك كامل الملطوى .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت كتابك " المربى " وأنعم به من كتاب ، صدر من قلب شرح الله سواد عينيه للإسلام ، وكل ما فى الكتاب حق ، وهو إن كان قطرة من بحر ، فيعطى القارئ صورة عن سيرة السلف وعن التصوف المراد عند أهله " ويكفى من القلادة ما يزين الجيد .

وكنت أحب أن أكتب عليه تعليقات لشرح بعض ما فيه ، ولكنى رأيت أن لا يزيد عليه كلام سوى كلامك لتكون نفثاتك صافية لا يشوبها نفثات غيرك ، فكتاب الإلهام سوى كتابة العلماء فالأولى وارد الصدر ، والثانية خاصة بالسطور ، وشتان بين الحالتين .

ومن أراد أن يقتفى الأثر وتكون له الأسوة فليتبع ما فيه وليخرج من قلبه خافية ، ليكون كتابك كرسالة الإمام القشيري وكل ما بعدها من التصوف مركب منها ومستقى من موردها . فحسبك عملك هذا وأنه من الكتب القيمة التى ظهرت بعد انتقال السيد المبارك الأستاذ الكامل الشيخ " عبد السلام الحلوانى " رحمه الله برحمته الواسعة ، وأرجوا الله تعالى أن ينفعنى وإخوانى بكتابك والسلام .

عبد الرحيم السمنودى

الأربعاء ١٢/١٢/١٣٦٥

شيخ علماء الملايو

١٩٤٦/١١/٦

وعميد كلية أصول الدين

وأما أخى فى الله ذو الفقار مهراڻ وهو من كبار رجال التربية يقول :
أخى الجليل الأستاذ حسن كامل .

أنصح من لم يقرأ كتابك بالإطلاع على صفحة واحدة منه ، وأنا موقن أن أوله سيدفعه إلى
آخره ، وأن آخره سيشوقه إلى أوله ، ولن يستطيع الفكاك من أسر سحره إلا بأعجوبة ،
عباراته سهلة ممتعة ، وموضوعه هو الوفاء بعينه .

اطلعت على كتابك بعين الأخوة بعين الرضا ، وشتان ما بين النظرتين ، فالرضا يغطى
العيوب ، والأخوة تقتضى قول الحق ، وترغم على الصراحة - وإن الناقد لأجدى على
المؤلف من المادح ، وبهذه العين وجدتك كعهدى بك : حلو البيان ، قوى التعبير ، يجتاز
كلامك الأذان إلى الأفئدة فيستقر فيها ،

لخروجه من قلب صافى مخلص طاهر ، ولانبعائه عن إيمان عميق .
 وإن كل ما آخذه على كتابك هو الإيجاز فى الإيجاز ، فلقد سعدت بمصاحبة من ترجمت له ،
 وعنه أخذت العهد ، وتقبلت مبادئ الطريق ، وألممت بكثير من (إن لم يكن كل) عاداته ،
 ومذهبه ، وطريق تعبده ، ومعاملته أتباعه ، وأنا وأشباهى لم نحظ بذلك ، فكان من حقنا
 عليك ، أن تترك نفسك على سجيبتها من الإفاضة وألا تكبح قلمك ، ولا تغل بيانك ، وأن ترسم
 لنا صورة صادقة تجعلنا كأنما عاصرنا الشيخ (طيب الله ثراه) ، ونعمنا بقاءه ، وتمتعنا
 بالتلقى عنه .

ويظهر أنك ظننت أن قارئك يجاورونك فى الذكاء والفتنة ، فعمدت إلى مبدأ " كل لبيب
 بالإشارة يفهم " أو أن الغلاء قاتله الله (غلاء الورق والطبع) قد حال بينك وبين

ما كنت تريد . السيد عبد السلام الحلوانى (على بساطة الشذرات التى وصلتني عنه) لا يكفى للتعريف به مجلدات ، فأرجوا أن يكون كتابك هذا رائد لما سيتلوه من كتب ، فالحق إنا لفي ظمأ شديد ، ونرجوا أن يقفوا أثرك نظراًؤك ممن أفاض الله عليه نعمة الاطلاع ، وسيولة القلم ، وخفة الروح ، والوفاء الجم .

وإن العصر الذى تنفت فيه المطابع قاتل سمومها ، لأحوج ما يكون إلى إذاعة أخبار الصالحين ، ونشر سير المتصوفين تنفيذا لقوله جل شأنه (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)

كان الله فى عونك ، وأكثر من أمثالك ، وجزاك عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء .

أخوك

ذو الفقار مهران

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
٦	ما معنى الصوفية وكيف نشأت
١٤	مم اشتق اسم الصوفية
١٦	ما هى غاية الصوفية
١٩	ما هى قواعد التصوف
٣٩	سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم
٧٢	كيف تختار أستاذك
٧٥	من هو أستاذى
١٢٣	أسلوبه ورسائله
١٢٥	الرسائل
١٥٧	أقواله رضى الله عنه
١٧١	كراماته
١٧٦	مرائيه
١٨٥	الكلمة الختامية
١٩٠	منهاج الطريقة الخليلية
١٩٥	وصايا وحكم عالية وغالية
٢٠٣	أوصاف سيدى عبد السلام الحلوانى